

بدل الاشتراك عن سنة  
٦٠ في مصر والسودان  
٨٠ في الأقطار العربية  
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى  
١٢٠ في العراق بالبريد السريع  
١ ثمن العدد الواحد  
الاعتمادات  
يتفق عليها مع الإدارة

# المجلة

مجلة أسبوعية للعلم والفنون

ARRISSALAH  
Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦  
الغزة الخضراء - القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العدد ٢٤٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٦ محرم سنة ١٣٥٧ - ٢٨ مارس سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

## حول الكعبة

للدكتور الحاج عبد الوهاب عزام



الليل مهوّد وسنّان،  
ترى العين سكونه ،  
ويحس القلب سكينة ؛  
ونسيم السّحر يسرى  
رفيقاً ينفخ الخليفة لأدري  
أينى إيقاظها أم إناستها ؛  
والقمر ينضح الكون  
بأشتمته يخفق مع النسيم  
نوره ؛ وقد أضحى السماء

إلا قرعاً في الأرجاء ؛ وتبدو في سكون الليل ونور القمر قم  
الجيال : فتندم وأبي قبيس وأجباد<sup>(١)</sup>

استغرقت الخليفة في أحلامها الجميلة ، وشغل الليل بشعره  
البليغ ، ففيه إصاخة الشاعر للمعنى الجليل المخترع

ولكن طرق مكة لا تنام ، ولا تغتر عنها الأقدام ، فأنظر في

ضوء القمر ، وفي ظلال الدور ، زرافات متمهلة أو مسرعة ،

ذاكرة أو صامتة ، تؤم البيت الحرام

(١) جبال في مكة

## الفهرس

صفحة	
٥٢١	حول الكعبة ... : الدكتور الحاج عبد الوهاب عزام
٥٢٢	مجد العرب والاسلام .. : الأستاذ اسماعيل مظهر ...
٥٢٨	من برجنا العاجي ... : الأستاذ توفيق الحكيم ...
٥٢٩	الهجرة المحمدية أساس { الأستاذ محمد لطفي جمعة ...
	الحضارة الاسلامية ...
٥٣٣	إلى الأمة الاسلامية في { الأستاذ محمد عرفة ...
	عالمها الجديد ...
٥٣٥	جهاد شهيد ... : الأستاذ سعيد الأفغاني ...
٥٣٨	محمد في أطوار حياته .. : الأستاذ عبد المتعال الصبيدي ..
٥٤١	مقبل الحنين وأثره في { الأستاذ ضياء الدين الدخيلي ..
	الأدب العربي ...
٥٤٥	ابن سينا متناسبة القضاء { الدكتور زكي علي ...
	تسعة سنة على وفاته ..
٥٤٩	العداء والفتاء ( قصيدة ) : الأستاذ عبد الرحمن شكرى ..
٥٥٠	مقهى صوريات ( قصة ) : للفيلسوف الروسي تولستوى ..
٥٥٤	توحيد برامج التعليم في الشرق - المؤتمر الدولي للجدام -
	القرآن في نظر الغربيين ..
٥٥٥	اللغة الايرانية والحروف اللاتينية - ترجمة القرآآت في
	ألبانيا - الكشف عن مسجد الحجاج - تذكارات
	مدام كورى ..
٥٥٦	الاذاعة المصرية - هل قتل جوركي - مصر والثقافة
	العربية في التين ...
٥٥٧	محاضرات في النبات المصري القديم - موسوعة ثقافية عند
	الهند - نسبة بيت شعري ..
٥٥٨	تطور يتطور تطوراً - الوصل والفصل ...
٥٥٩	نوايغ الشباب ( كتاب ) { للأديب محمد فهمي عبد اللطيف
	السير ( كتاب ) ...

الليل هاجع ، والخلقة نائمة ، ولكن هذه القلوب الواهة لا تهجع ؛ ولكن هذه العيون الباكية لا تنمض ، ولكن هذه الزفرات المرددة لا تسكن ، ولكن هذه الألسنة الناكرة لا تقتر . قد استوى ليها ونهارها ، وعشيتها وأبيكارها  
هذا هو المسجد الحرام ! فهل تقع العين إلا على مُصَلٍّ خاشع ، وطائف بالكعبة والله ، وقارى تنطق بضراعتة الآيات ، وداع يرسل قلبه في كلمات ؟

كم قلب محزون حمل إلى هذا الجنب شكواه ، وفؤاد منذب يث في هذه الساحة نجواه ، وكم آثم حط في هذا الفناء الأوزار ، ليحفظها بالثوبة والاستغفار ! وكم داس جاء ليتطهر من هذا النهر ، وكم يائس ورد يستقي الرجاء ، ومحروم أقبل يستدر العطاء ! وكم نفس مظلومة ترفع ظلاماتها ، وأخرى ظالمة تمترف بجناياتها ! وكم مكادوم جاء يجرأخاته ، وأرسل آهاته وأمانه ! وكم ناكل يحمل قلبه كسيرا ، ويسيل دمه غريرا . كل ضارع على هذا الباب ، ضائع عند هذه السدة ، يهاب هذا العظم ، ويرجو هذا الكرم . أكناس من الآلام والآمال ، وأشتات من الموموم والأمان ، والشكران والشكوى ، والدعاء والتجوى ، والنضرع والحمد ! ووراء هؤلاء في الشرق والغرب قلوب توجهت شطر هذا البيت كما تتوجه الإبر<sup>(١)</sup> إلى القطب ، وتنزع إليه زروع الغريب إلى ولده وداره . فكم مصلى في أرجاء الأرض ولّى هذا الجنب وجهه وقلبه ! وكم داع قصد هذا القصد على بعد الزار وقاى الديار ! أترى الدعوات تهفو على الكعبة مع هذا النسيم ، والصلوات تنزل عليها في هذا الضوء ، وأسراب الآمال طارت من المغرب والصين لتطوف مع الطائفين ؟ أترى سوداوات القلوب اجتمعت فكانت هذا البناء ، أم أناس العيون تراكت فكانت هذه البنية السوداء ؟

أنظر فلا أجد في هذا البناء تماثلا ولا متابا ولا وتكلا ولا صورة ولا نقشا . إنما هو التوحيد في خلوصه ، والعقيدة في يسرها ، والاسلام في نظريته . بيت لعبادة الله يؤمه عباده الله ، تجتمع حوله القلوب ، وتلتقي فيه الدعوات ! بيت من التوحيد بحس ، وبناء من الأخوة بلمس

ما أروع هذا مشهداً ! صلاة ودعاء ، وطواف وبكاء ، يسيل بها الأصباح والأسماء . من لى بالخلوة في هذا الزحام ، والوحدة في هذه الكثرة ، والسكون في هذا الصياح ، والقرار في هذا المحسر ! بل من لى بأن أقف على الساحل من هذا البحر لأرى وأسمع !!

صعدت إلى مصلى الشافى فوق زمزم فإذا هو خلاء ، فأشرقت على هذا الجمع أرى جموعاً متوحدة ، ودعوات متجسدة ، وألفاظاً تنطق بمعنى واحد ، وظلالاً يعمدها نور واحد . وكان للقلب مجال بين الكثرة والوحدة ، والظهور والخفاء ، والوجود والفناء . ولبت اللحظات امتدت فانتصت بالأزل والأبد !

وبنيت في هذا الدوى ، بل يشع بين هذه الأصوات صوت الأذان : « الله أكبر . الله أكبر » ، وينظم شعار التوحيد هذه الأصوات : فإذا الدعاء صمت ، والحركة سكوت ، وإذا هذا الجمع نفس واحدة تصيح إلى صوت واحد

ما أجل هذا الصوت وما أروع ! عظمة الله تنشى هذا المشهد ، وكلمة التوحيد تملأ هذا المسجد . قلت لنفسي : « ليت الإنسان يستمع أبدأ إلى أذان الفجر في جوار الكعبة ! » قالت : « أما الأذان فهو دائم موصول لا تخلو منه ساعة من ليل أو نهار . فالأوقات في أقطار الإسلام مختلفة ، فما يسكن أذان في بلد إلا ارتفع أذان في آخر أيد الدهر . تكبير دائم لمن كان له سمع ، وذكر مستمر لمن كان له قلب . وأما الكعبة فأنت في جوارها كل حين إن لم تكن أسير البقاع ودرهن الحجب »

هلم إلى الرحيل ! طفت طواف الدواع ، وأدبت مع الجماعة صلاة الصبح ، وقد أعدت السيارات والرفاق ينتظرون ؛ ولكن النهار لم يسفر فإ بمجلنى عن هذا المكان ؟ هلم قد حان الرحيل وليس من الذهاب بد . ولكن الرحيل يمكن إدجاؤه لأزود للبين نظرات ، وأجمع للفراق ذكريات ... قد حان الرحيل ولا مناص :

خرجت أمشى يقول قلبي للرجل : بالله أنظري

رحم الله حافظاً الشيرازى الذى يقول :

وكيف يطيب العيش في منزل المني

وأجراس هذا السفر للبين تقرر<sup>(١)</sup>

عبد الرهااب عزام

## مجد العرب والإسلام

للأستاذ اسماعيل مظهر



كانت رومية  
قد لفظت آخر  
أنفاسها عندما اقتلع  
زعيم حربى من  
الهمج الشجرية  
تاج الإمبراطورية  
الرومانية من رأس  
إمبراطور صبي  
أبيض الوجه ،  
وضاح الجبين ،  
ليضعه فوق رأسه

الكث الشعر ، اللبد القودين

أما الزمان فسنة ٤٧٦ بعد الميلاد . وأما المسرح فدرجات  
قصر رافنا الرخامية

كان الانحلال قد امتد إلى عظام رومية ينخرها منذ ستين ،  
فأخذت رصتها تضعف وقواها تتبدد شيئاً بعد شيء . أما آخر  
مشهد من مشاهد هذه المأساة التى مثلها رومية على مسرح هذه  
الدنيا ، فقد مرّ مرور الحلم ولم يأبه له إنسان . وهناك انسدل  
الستار على تلك المدينة القديمة وانطوت صفحاتها الخالدة . أما  
الاستقبال فكان طوع بيمين تلك الشعوب الفتية القوية التى انحدرت  
من الشمال

خرجت تلك الشعوب من خلال المفاوز الجبلية الثلوجة ،  
وانحدرت من هضاب الشمال الهاوية ، وشقت طريقها إلى الجنوب  
حيث الأراضي الشاسعة والحقول الخصبة . ولقد ركب بعضهم  
مئن العباب على سفائن أشبه بالحيتان الضخام ، وامتنى آخرون  
عجلات من ذلك الصنف الذى يستخدمه البدو إذ يرعون أنعامهم .  
ولقد اتخذوا في جوانب الطرق المرمية التى أنشأها القياصرة  
المظالم محاطاً بضربون فيها غنائمهم ، وكان البحر المتوسط مرمى

أنظارهم ؛ ذلك بأن رومية لم تجمع ثروتها الضخمة إلا من شطآنه  
مضوا يهيمنون في كل واد غاصبين مقاتلين ، فقتلوا العرب  
والقوضى في ربوع الدائن القيصرية ؛ وكانوا في جهالة ؛ فساء  
نصرفهم ، وفسدت أعمالهم ؛ وقد تضى عليهم فترة رفون  
فيها أشتاتاً ، ثم تنجدهم موجات جديدة من الهمج أمثالهم هابطة  
من الشمال أو من الشرق . ونسى القانون الرومانى فأصبح الحق  
للأقوى ، واحتككت تقاليد المشيرة البدائية في الجماهير ، تقاليد  
أولئك الذين نشأهم صحراء غوبى المجذبة في جوف الصين

وظل العالم الحاف بالبحر المتوسط خمسة قرون ميداناً لتنتقل  
تلك القبائل الهمجية ووحداها الحربية . على أنهم إن ظلوا أمناء  
لتقاليد حياتهم البدائية ، واحتفظوا بروح المشيرة ، فإنهم في  
خلال تلك الخمسة من السنين كانوا قد قبلوا أنارة مما خلف العالم  
الرومانى الإغريق من صور الثقافة

\*\*\*

طوى رومية ظلام القرون ؛ فلما طواها خيم على أوروبا ظلام  
الجهل والهمجية . ذلك الجهل وتلك الهمجية كانا طابع الشمال ،  
فعملت رومية جاهدة في أن تصد طينائهما عن الجنوب قروناً  
عديدة ؛ فلما لفظت رومية آخر أنفاسها ، استباح قوضى الشمال  
حضارة الجنوب

وكانت القبايل المرطوبة على عهدا لم تتغير ، والخرائب المظيرة  
الحزينة على سابق حالها منذ سكنها اليوم وأخذت تسبح في أفنيئها  
وتنتقل في كرومها القديمة . ولقد ألقت الدئاب الجارحة تميم  
جماعات متعانة على الصيد والاقتراس . أما المزارع فكانت رقفاً  
تتخلل الأرض الحجرية ، حيث القرى بأكوأخها المشيدة في  
لبنتات مَلَاطها الطين وسقوفها من البوص والمشم ، تقوم هنالك  
في سفح قصر منيف ذى أبراج ضخام لسيد من أسياد القطائع  
أما الرعاة فكانوا ينامون في الرءاء ، وفي الوديان الخفيفة  
الموحشة ؛ ما يؤنسهم من شيء إلا القترس من الحيوان والجراح  
من الطير . ذلك لأن مفاوز القبايل كانت مأهلهم الأمانة  
ومرايهم الأصيل

وهنا وهنالك كنت تقع على ذلك التراب الأبيض السافى  
تتخلله قطع من الأحجار ، إن نمت عن شيء فمن أن التراب

والأحجار إنما هي بقايا طريق روماني براه الزمان

بين القينة والقينة كانت يمر بذلك الطريق يهودى من  
بنى إسرائيل ومن وراثته شرفة من الخيل ؛ أو فاجر تحيط به  
كتيبة من حلة الحراب ، وأقل ما يكون حدوثاً أن يثير غبار ذلك  
الطريق كتيبة لسيد من أسياد القطائع ، فإذا مرت اجتمع من  
حولها أهل الحقول ينظرون مأخوذ من رجال تلك الكتيبة  
الأشداء ، يؤخذون بمراى الدروع السود المصفحة بالحديد ،  
والملاعق الكبيرة التى يغشى أطرافها الفراء

قل من أهل الريف من رأى أكثر من ذلك ؛ اللهم إلا أن  
يكونوا قد رأوا علامة الصليب الكبيرة التى تشير إلى انتقاء  
الطرق وتفرعها في نهاية الوادى . أما ما وراء التلال فكان مجهولاً  
بل كان عدواً غمياً . ولم يكن لهم اتصال بالعالم الخارجى عن عالمهم  
هذا ، اللهم إلا عن طريق الرهبان لا يسى المسوح ، أولئك الذين  
كانوا يجوبون الأنحاء حفاة من دير إلى دير ، أو عن طريق  
شاعر من مؤلفى الأغنيات ، يمر عجلاً إلى البهو ليتناول وجبة  
فاته أو أسها

ذلك بأن أهل أوربا في عصور الظلام عاشوا مدفونين في  
وديانهم التى نشأتهم ولم يروا مما وراءها شيئاً . قال حراث من  
أهل ذلك العصر المحدث إلينا كلمته : « إذا تنفس الصبح  
خرجت توأ أقود الثيران إلى الحقل ، ثم أضعها في المحراث ، لأن  
واجبى أن أحرت كل يوم حقلاً ، وإلى جانبي ولد لي أبح صوتيه  
البرد والسياح . فإذا فرغت من عملي ذاك ملأت المداود بالدريس  
وسقيت النسم ثم أخرجت الروث . يا لله ! إن هذا العمل الرهق  
شاق ، ولكنى لست حراً »

وكثيراً ما كان الفحط يحط عليهم . فأيام ممطرة حين البذار ،  
أو فساد في المحصول ، أو سوس ينخر القمح ، أو جفاف أو حرب ،  
كل سبب من أولئك كان كافياً وحده أن ينشر الجوع والبلاء  
قيل : « كان الطباشير يطلب من الأرض وعجز بالذيق  
ليصنع خبزاً . لقد اصفرت وجوههم وانحطت قوامهم ، حتى لقد  
عجزوا عن أن يجروا أنفسهم من فوق الأرض جرأ . وهبئت  
حفر ليسحب إليها المحتفرون وبلقون في جوفها . وكانت هذه  
المصائب تلابسها مصائب أكبر وكوارث أعظم . فإن الدباب

وقد أنسوا على جوانب الطرق كثيراً من الجثث ، ملكتهم  
الشجاعة وأغوام ضعف الناس ، فراحوا يهاجمون الأحياء . أما  
مواد الطعام فقد خص بها الأقوياء ليظلوا قادرين على العمل ، لعل  
الحقول تزرع ولا تبور »

وقيل : « رثى رجل في سوق « تونير » حاملاً لحماً مطبوخاً  
ليبيعه في سوق المدينة . فلما سئل فيه ادعى أنه لحم حيوان .  
ولكن ذلك لم ينجه فسيق إلى السؤل ، وهناك لم ينكر جريمته  
فأحرق حياً . أما اللحم البشرى الذى أتى به الرجل فقد دفن  
باسم المدل والقانون . غير أن رجلاً غيره نبش ذلك اللحم وأكل  
منه ، فكان جزاءه الموت إحراقاً »

وفي مثل تلك الفترات كان الطاعون من بلايا الأحياء . فأنهم  
كانوا يزحجون الأكوخ والساكر ، حتى أن أسراً برمتها كثيراً  
ما كانت تذهب فريسة ذلك المرض ، فيتركها الباقون ويهجرون  
النازل والربوع فرعاً من الموت وفراراً من البلاء . وكان الرضى  
يحملون إلى الكنائس ابتغاء الشفاء ، فتنتشر العدوى في أولئك  
الذين أنوا ليؤدوا فريضة الصلاة عبادة خالصة لوجه الله

قال أردريكوس فيتالس أحد مؤرخى القساوسة : « عم بلاء  
المرض قضى بأهل بيوت كثيرة ، كما أن الجوع قد أفنى المرضى ؛  
فلما أن خربت الثيران الأرض ، خرج الآكثرون هائمين على  
وجوههم . فلما رأوا أن الأبرشيات قد طمست معالمها ودرست  
آثارها ، فروا من الكنائس الخاوية هرباً إلى حيث لا يملكون »

\*\*\*

هذه صورة مما كان في أوربا القارية ، لما انقلب صبح الزمان  
عن غلام يتيم من أبناء قريش ؛ فلما شب وترعرع ، ثم تفق<sup>(١)</sup>  
وكاد يكتمل نزل عليه الوحي ليبشر بدين جديد ، وليؤدى الرسالة  
الربانية للناس أجمعين ، وكانوا من الممجية على مثل ما رأيت في  
أوربا ، يقتلون أولادهم خشية الإملاق ويشدون البنات ويسبدون  
أسناناً كثيرة تبول الثعالب برؤوسها ، ويدنون بفوى سحرية ،  
ويؤمنون بظواهر الطبيعة كآلهة . غير أنهم بالرغم من هذا صدقوا  
وآمنوا بما أنزل إليهم . فإن صلاة محمد في نصرة الحق شذخت  
يا فوخ الشرك والوثنية

ولقد كانت تلك الغزوات سبباً في أن يقف العرب ، وهم يحملون أرق الأديان وأجعد المذنيات ، وجهاً لوجه أمام أولئك المصيح الذين ثبتوا أقدامهم في خرائب الإمبراطورية الرومانية ، واعتنقوا دين عيسى فأصبحوا نصارى . ونجاورت قوات أو، ما وقوات آسيا . فان طلائع قوى النصارى كانت تلحظ عن كتب مقدمة معادل الاسلام

أما في الغرب ، حيث شهدت الأندلس معارك أوربا والاسلام ، فان نصارى الفرنجة ، وقد انتهزوا فرصة اضطراب نار الخلاف الموروث بين القبائل منذ الجاهلية ، كانوا قد استردوا مفاوز « البريز » ، ومضوا يتقدمون بتوذة ، مثبتين أقدامهم في شبه الجزيرة خطوة بعد أخرى . ذلك على الضد مما كان في الشرق . فان المسلمين كانوا قد تقدموا نحو أوربا مخترقين آسيا الصغرى

فما بين هذين الطرفين : الأندلس غرباً ، وآسيا الصغرى شرقاً ، وفي وسط تلك الشقة ، كان للإسلام اليد العليا : في الأرض كما في البحر . ذلك بأن العرب قد ألقوا البحريهولة ، وشقوا عبابه صرحين . وابتنوا البوارج الفخام ، فتحولوا شيئاً بعد شيء من غزاة فاتحين بحمد السيف ، إلى غزاة فاتحين بسلاح التجارة . ومن ثم ثبتوا أقدامهم في جزر البحر المتوسط ، وبخاصة صقلية ، وركبوا متن نهر « التير » حتى بلغوا جدران رومية ولم يعض غير قليل حتى أخذ العرب عن الشموب التي غزوها مبادئ الثقافة القديمة ، واخترقت قوافلهم تلك الصحارى الشاسعات من بلاد الهند إلى أسواق حلب والاسكندرية ؛ وازدادت قرطبة والقاهرة بالقصور الشاذة ودور العلم الفخمة ، وحكم هارون الرشيد في بغداد

وهذأت الحالة واستقرت الأمور على امتداد التخوم . ذلك بأن المسلمين كانوا أحد ذكاء وأكثر مرمرة وأعرق مدنية وأعظم قوة من جيرانهم همج النصارى

حوالى ذلك الزمن بدت في أوربا بوادر جديدة ، فان شارلمان ملك الفرنجة وحفيد شارل مارتل كان قد بدأ في تنفيذ خطته . فان متابعة الحرب والمنازى المتتالية ، واستئثار رجل واحد بالحكم كان سبباً في أن تتكون إمبراطورية لم يدم بقاؤها أكثر من

أدى محمد رسالته على خير ما تؤدي رسائل الوحي ، فلما قبض كان نور الإسلام قد انبج فاعتنق أكثر العرب ذلك الدين القيم وآمنوا بالقرآن وآيتهما : « أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله »

وما لم يتح لنبي قريش أن يتم في حياته ، أعنه من بعده خلفاؤه العظام . فان رجال تلك الصحراء ، وعلى رؤوسهم خوذات الحرب ، قد امتطوا صهوات جياذ قضيفة سفيرة الهجوم ، وأظهروا إبل عجان ، وخرجوا من فضائهم الأرحب ليفزوا ويعمنوا في الغزو ، تميزاً للإسلام ونشراً لكلمة الله . ولقد انقذت في جوامعهم نار الحية فانتشروا في الأرض ومشوا في مناكبها ، وتنقلوا فيها من مكان إلى مكان ، بسرعة أقلقت أهل العالم القديم

بدأت الغزوات في حكم الخلفاء الراشدين ، أصحاب محمد القرين منه . وفي أقل من قرن من الزمان رفعت راية الإسلام على الدنيا جميعاً من السند إلى جوف الصين ، ولعت سيوفه في مفاوز القوقاز وأغوارها ، وسقطت مصر في يد العرب ، وتبعها شمال أفريقية ، ثم الأندلس

ومنذ فاتحة تلك الغزوات طغى مدعاه العظيم على وديان أورشليم الصخرية فاكتمحها ، وأحاط الإسلام بهيكل المسيح . أما طغيان الإسلام على أوربا جميعاً فلم يصد في الظاهر غير عقيبتين : شارل مارتل في الغرب ، وحصون بوزنطية في الشرق . أما السبب الحقيقي في وقوف ذلك المد الإسلامي العظيم عند ذلك الحد ، وهبوطه بعد أنه كاد يبلغ الدروة العليا ، فيرجع إلى أن أصحاب محمد قد انقسموا أحزاباً وتفرقوا شيئاً ، واختص كل حزب منهم بجزء من الأرض المنزوة . ولو أنهم ظلوا مجمعين على كلمة الإسلام إذن لاندحر شارل مارتل ، وإذن لاندكت حصون بوزنطية ، وتحقق بذلك وعيد معاوية للإمبراطور الروماني إذ قال له في كتاب أرسل به إليه لا علم بعزمه على غزو الشام إبان خلافه مع علي بن أبي طالب : « لئن تمت على ما بلفنى لأصالحن صاحبي ، ولأكونن على رأس طلائمه إليك ، ولأجعلن القسطنطينية الحراء لحمامة سوداء ، ولأخلعنك عن عرشك خلع الإسطمبنة ، ولأرسلنك في الجبال ترعى الإبل »

لر لم ينشق المسلمون لتحقيق هذا : « ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم »

جيل واحد ، وفي أثناء ذلك انجبه شارلمان وبلاء جيشه نحو الشرق ، ونصب أعينهم مدينة بوزنطية

أما الذين اتزنت عقولهم فقد اعتقدوا أن عمل شارلمان إنما هو بداءة النظام وفاتحة حكم القانون ، ذلك بأن آخر حكومة منظمة كانوا يذكرون قيامها ، إنما هي حكومة الأمبراطورية الرومانية . ولذا اعتقدوا أنه ما من حاكم يصلح للحكم إلا عاقل قيصري ، يملك زمام الأمر ويجمعه في يده . ولقد صحت نظرتهم فان موت شارلمان كان سبباً في أن تتمزق تلك الأمبراطورية وتذهب بدداً

يذهب الأمبراطورية التي شيدها شارلمان عادت لأوروبا عصور الظلام . فتفرقت الأمم وتنازعت الشعوب ، من غير أن تعرف أمة أو بقية شعب للخلاص طريقاً . لقد اقتتلوا كما اقتتل آباؤهم ، بشراة الدواب . وفيما هم على حالهم تلك ، ممزقة وحدتهم متفرقة كلتهم ، هبطت عليهم من الشمال عشائر من الممج هم الدانيون والنورمان تمتطين عباب الماء

برزوا إلى مسرح الحوادث العالمية ، وكانهم برزوا من أغوار البحار المحلاة بالظلام والضباب ، متلهقين إلى أرض مشمسة خصبة ، هي أرض الجنوب ، وكانوا غير مدجنين ، يلبسون جلود الثعالب وإهاب الحيتان ، ومن فوقها الذهب اللامع ، وفي أيديهم سيوفهم الطويلة وحراهم المسنونة وفؤوسهم الفليضة ، غربروا ودمروا وأحرقوا ، واستقروا في النهاية حذاء الشواطئ

ظلام من فوقه ظلام ، من فوقه ظلام . وفي ذلك الوقت تخيل إنسان من طيبي النصارى خيالا ، واعتقد بأن نهاية العالم أي القيامة ستكون سنة ألف ، أي في اليوم الأخير من القرن العاشر الميلادي ، وارتقب الناس ذلك اليوم ، وأمضوا الليلة الأخيرة ساهرين ، يتوقعون النفخة في الصور ، لهرعوا جميعاً إلى موقف الحساب ، ولكن ذكاه بزغت في نهاية الأفق صانته كعادتها ، منمشة كعادتها ، وظهرت الأرض لابسة حليتها المروقة ، فلم يتغير بها من شيء

ظلام في العقيدة وظلام في الفكر وظلام في الحضارة . تلك كانت حال تلك البقعة التي نعرفها باسم أوروبا في أواخر القرن الحادي عشر المسيحي . فكيف كان العرب والاسلام ؟

\*\*\*

في أواسط القرن التاسع الميلادي أي في عهد الخليفة المأمون العباسي ، عاش محمد بن موسى القتي ألف في علم الجبر وعنه أخذت أوروبا في أواسط القرن الرابع عشر ، فان مقالته في ذلك العلم قد ترجمت إلى اللاتينية واتخذت أساساً لتدريس الجبر في عصر النهضة العلمية في أوروبا . وعقب عليه محمد بن جابر البتاني التوفي سنة ٩٢٩ ميلادية وهو صاحب الزيج المشهور المعروف باسم زيج الصابي ، وله عدا الزيج شروح على المجسطى وشرح مقالات بطليموس ومقالة في الفلك والجغرافية ؛ ويقول فيه المؤرخ أوليري : « كان زيجه أنشط ما وجد من نوعه عند العرب ، وله عدة مستكشفات رياضية وفلكية ظلت العمدة في علم الفلك عهداً طويلاً في القرون الوسطى وفي مدارس أوروبا على الأخص ؛ وكان يلقب ببطليموس العرب لثبات قدمه في علم الفلك وتضلعه فيه » وفي حدود سنة ٨٢٨ لليلاد أمر الخليفة المأمون بقياس درجة من الهجرة لاستقراء جرم الكرة الأرضية ، وقام بهذا العمل أربعة من علماء الهيئة مدونة أمماؤم في صفحات التاريخ

قال أبو الفدا :

« قام بتحقيق حصة الدرجة طائفة من القدماء لبطليموس صاحب المجسطى وغيره ، فوجدوا حصة الدرجة الواحدة من العظيمة المتوهم على الأرض ستة وثلاثين ميلاً وثاني ميل . ثم قام بتحقيقه طائفة من الحكماء المحدثين في عهد المأمون وحضروا بأمره في بركة سنجار وافترقوا فرقتين بمد أن أخذوا ارتفاع القطب محرراً في المكان الذي افترقوا منه . وأخذت إحدى الفرقتين تسير نحو القطب الشمالي والأخرى نحو القطب الجنوبي ، وساروا على أشد ما أمكنهم من الاستقامة حتى ارتفع القطب للسائرين في الشمال وانحط للسائرين في الجنوب درجة واحدة . ثم اجتمعوا عند المفقوق وقابلوا على ما وجدوه فكان مع إحداها ستة وخمسون ميلاً وثلاث ميل ، ومع الأخرى ستة وخمسون ميلاً بلا كسر ، فأخذ بالأقل »

فيل : « واشتغل الرازي بالكيمياء واستكشف ما سماه « زيت الزاج » وهو الحامض الكبريتيك والكحول . استحضر الأول باستقطار كبريتات الحديد واسمه في العربية الزاج الأخضر



أرميناس أى العبارة لأرسطوطاليس ؛ كما نقل تعليقات عن  
 قرفوريوس السوري والاسكندر الأفروديسي وأمونوريوس  
 وقيل : كان من عظماء المشاركة في عهدهم قسطا بن لوقا  
 وأبو بشر متى بن يونس ويحيى ابن عدى وابن ناعمة وثابت بن قرة  
 وجابر بن حيان والقاراني وابن سينا والنزالي وغيرهم  
 هذه أمانة مما كان في الشرق ، بل إشارة إلى بعض ما وصل  
 إلينا من أخبارهم وما انحدر إلينا من أحوالهم بمد أن اتخذ  
 هؤلاء من كتبهم قنطرة عبر عليها أحد الرافدين . ولك أن  
 تقيس ما انبعث على يد العرب والإسلام من أنوار العلم والمدنية ،  
 على ما بث أهل أوربا في ذلك العهد من ظلام على أهل الشمال

\*\*\*

أما في الغرب — أى في بلاد الأندلس — فقد أرسل العرب  
 على ذلك العالم الميت المظلم الذي نعرفه الآن باسم أوربا أول شعاع  
 من أشعة النور . وليس لنا أن نأتى من عندنا بكلام نبين به عن  
 أثرهم في تحضير العالم الحديث بل نترك الكلام للأستاذ « درابر »  
 في كتابه « نغمة أوربا العقل ص ٣٠ ج ٢ » قال :

« لما ثبت قدم العرب في بلاد الأندلس ، بادروا إلى العمل  
 على نشر العلم والحضارة ، وقد تعلموا معهم إلى الغرب جميع  
 المبادئ التي قامت عليها حضارتهم في آسيا . وكان أول ما انتفتوا  
 إليه نشر المعرفة وتظليلها بحجبتهم . وقد ازدهرت في عهدهم المدن  
 وأقرب مثال لها قرطبة ، فقد كانت تتألف من مائتي ألف بيت  
 ويسكنها مليون من النسمات ، ويكفى أن تعرف أن شارعها  
 الأكبر كان بطول عشرة أميال ويضاء ليلاً للمارة بمصابيح  
 كبيرة ، وذلك مشهد من مشاهد الحضارة لم تعرفه مدينة لندن  
 إلا بعد ذلك العهد بسميئة عام . وكانت طرقاتها مرصوفة بالأحجار  
 في حين أن باريس ظلت قروناً بعد حضارة العرب في الأندلس  
 مجرداً للغياء والأوحال التي تقوص فيها الأرجل إلى الركب في  
 فصل الشتاء . ولم يقتصر الأمر على قرطبة ، بل إن غرناطة  
 وأشبيلية وطليطلة كانت مدناً تعد أشباهاً لقرطبة ونظائرها . وكانت  
 قصور الأمراء مثلاً من الفخامة الشرقية ، بل كانت متاحف  
 للفنون الرفيعة وعنواناً على حضارة عريقة ، في حين أن المنازل  
 التي سكنها أمراء ألمانيا وفرنسا وإنجلترا لم تكن تفضل حظائر  
 الماشية في شيء ، فهي بلا مداهن أو نوافذ ، وكان المخرج الوحيد

فلما استقطره خرج منه سائل سماء زيت الراج . ولا تزال الطريقة  
 التي اتبعها الرازي في استخراج ذلك الحامض متبعة في استخراج  
 إلى اليوم . أما الكحول فقد استحضره باستقطار مواد نشوية  
 وسكرية مختمرة

وقيل : « أسس المأمون الخليفة العباسي مدرسة بغداد  
 سنة ٢١٧هـ ( ٨٣٢م ) وسماها بيت الحكمة وعهد بها إلى عناية  
 يحيى بن عاصم الذي توفي سنة ٨٥٧م . وكان من المؤلفين في  
 السريانية والعربية . أما مقالاته في الحيات فقد كانت السعدة في  
 دراسة تلك الأمراض زمناً طويلاً . وقد نقلت من بعد إلى  
 اللاتينية والعبرية

ويستقد المؤرخون أن أكبر الأعمال التي قام بها بيت الحكمة  
 شأنًا ترجع إلى الجهود التي بذلها تلاميذ يحيى بن عاصم ومنهم  
 الرجل الفذ أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي المتوفى سنة ٨٧٦م  
 فقد نقل فضلاً عما نقل من المؤلفات الطبية ، جزءاً من منطق  
 أرسطو ( الأورغانون ) وبعد أن درس أبو زيد في بغداد رحل  
 إلى الاسكندرية ، وعاد منها مزوداً بكل ثمار الدرس التي كانت  
 شائعة في عهده متقناً للغة اليونانية التي استخدمها في النقل إلى  
 السريانية والعربية

ثم قيل : واجتمع معه في بيت الحكمة ابنه إسحاق وابن  
 أخته حبش الأعمى دمشق . وترجم حنين إلى العربية مقالات  
 إقليدس وبضعة مؤلفات عن جالينوس وأبقراط وأرخميدس  
 وأبولونيوس الفرغايوسي ، وهو أكبر من اشتغل بالهندسة في  
 العالم اليوناني بعد إقليدس . ولقد ترجم أبو زيد عن غير هؤلاء  
 كما ترجم الجمهور ، وكتاب طباموس لأفلاطون وقاطيطورياس  
 والموسيقا والمغامرات أي الأخلاق الكبير عن أرسطوطاليس  
 وتعليقات طيموستيوس على المقالة الثلاثين من الفيزيكا . كذلك  
 ترجم كتاب أرسطوطاليس في المادن ، وهو كتاب ظل زماناً  
 طويلاً مرجعاً من أهم المراجع في درس الكيمياء ، وعن أصله  
 اليوناني أخذ بولس الأجنبي

ومما انحدر إلينا من أنبأهم أن إسحاق بن حنين قد ترجم  
 إلى العربية — فضلاً عن الطب — كتباً من أشهر ما حوت  
 حكمة الأقدمين ؛ منها السوفسطائي لأفلاطون ، والمتافيزيكا  
 والروح ( ده أينما ) والكون والفساد ، وإرمانوطيكا ، أو باري

## من برزنا إلى

عربي في الحياة لحظات أود فيها لو أسأل الله أن يفك أجزائي ويبيد بنائي ، « طبقاً لشروط أخرى ومواصفات جديدة » كما يقال في لغة أهل المارة والهندسة ؛ ولكن ... سرعان ما أذكر كلمة « باسكال » : « لو أن ألف كليون بارا كان أكبر قليلاً ، ما كان لتغير وجه التاريخ » . هذا صحيح . ومن يدري . لعل قائلاً يقول في أمرى غداً : « لو أن أنفه كان أصغر قليلاً ، ما كان لتغير وجه الأدب العربي الحديث » . ولكن الواقع الذي أوقفني به أن تركيب الإنسان كتركيب العقاقير . قليل من « السلامكي » على قليل من الشمر والبفسون ينتج « مليتا » للأسماء . كذلك حياة كيميائي مع قليل من ميولي وقليل من مطالماي ... ينتج أدباً كادبي ... فكيف إذن يغير الله بعض عناصر تركيبى دون أن تتغير النتيجة كل التغير . وما الذى يحمله على ذلك ، إلا رغبتى ؟ ومتى كنا مخلوق طبقاً لرغباتنا ؟ لقد قرأت يوماً كلمة عني في إحدى الصحف قيل فيها : « إنى أريد أن أعيش لغنى ، ولغنى فقط » . فابتسمت وقلت : « أنا أريد ؟ » كلمة أريد « تبدو ساذجة مضحكة من أفواه البشر وهم في حضرة » القدر « ! ما أنا إلا تركيب كيميائي مثل ذلك المليون ، « لا بد له » بهذه العناصر مجتمعة « أن ينتج هذا « المفعول » الذى يسمونه « الفن » أو « الأدب » . لا فرق في نظر « الطبيعة » بين « النحلة » و « الأديب » . كلاهما مخلوق ينتقل بين أزهار ، لينتج عسلاً آخر النهار . ومن هذه « اللادة » الحلوة يصنع أحدهما بناء فصيلته ، ويقوم الآخر بناء أمته . ولو سئلت « نحلة » عن رأيها فيما تفعل لما وجدت عندنا رأياً ولا إرادة . إنما هي تفعل ما تفعل بدافع من تركيبها « البيولوجي » . كذلك « الأديب » مدفوع إلى التفكير والانتاج بحكم هذا التركيب . ولطالما تفجرت فائراً : « لماذا ولنى أقتل نفسى بهذا العمل المفضى ؟ » . فاسمع الجواب من أعماق : « إنك لا تنتج لشيء ولا لأحد ، ولكن لأنك لا تستطيع أن تفعل غير ذلك . ما أنت إلا نحلة تغرز الأدب شاءت أو كرهت . توفير الحكيم

الذى يسلم إلى فضاء الجو كوة في أعلى السقف بتصرف منها الدخان »

ولقد وصف المؤرخون قصور أمراء الأندلس وصفاً يقصر عن إدراك حقيقته الخيال ؛ فهل علمت أن قصورهم كانت مجهزة بأنايب ممدنية لتوزيع الماء على الأجنحة المختلفة ، وأن الماء كان يجري دائماً في أثناء الشتاء ويardاً مثلوجاً في أثناء الصيف ، وأن جهازيات التهوية الصناعية كانت في الأشياء التى اخترعها العرب في فن البناء واستخدمت لأول مرة في قصور الأندلس ؟ قيل إن من المفاخر التى كان يزعم بها أصحاب القصور ما نحوى من المكتبات النادرة . ويكنى أن نعرف أن مكتبة الخليفة الحاكم رصدت كتبها في فهرس بلغت مجلداته أربعين مجلداً

كان قصر الحمراء مقر عبد الرحمن الثالث وما تزال آثاره حتى اليوم تحفة نادرة من تحف الفن العال . كانت واجهته مقامة على ١٢٠٠ عمود من الرخام جلبت من مختلف بقاع العالم المتمدين : من اليونان وإيطاليا وأفريقية ؛ وكان البهو الأكبر منسجى بالذهب الخالص ؛ وكان بالقصر ٦٣٠٠ من الحاشية والخدم ، ومن حوله تكتأت بها ١٢٠٠٠ من الحراس لباسهم من الحرير ومعاظهم مطرزة بالذهب

كل هذا المجد يصغر ويتضاءل إلى جانب ما خلف ابن باجة ، وابن الطفيل ، وابن رشد وغيرهم من صور الفكر التى أصبحت بعد زمان النور الذى استهدى به العقل الأوربي وعنه أخذ ليؤسس نهضة أوروبا الحديثة .

ثم تمنا واستيقظ الزمان ، ورحنا في سبات وعجلة الدهر من حولنا تدور ، حتى أصبحنا ولسان حالنا بقول مع شاعرنا حافظ : لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا إلا بقية دمع في مآقينا كنا قلادة هذا الدهر فانقرطت وفي بين النلا كننا راحينا كانت منازلنا بالمر شاخنة لا تطلع الشمس إلا في مغائينا والشهب لو أنها كانت مسخرة لرجم من كان يبدو من أعادينا فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا شراً ونخدعنا الدنيا وتلهينا حتى غدونا ولا مال ولا نسب ولا صديق ولا خل يواسينا هذا طرف من مجد العرب والاسلام وصورة تذكرنا أننا كنا . مناثر الأرض وحماة الحضارة والعلم والثقافة والعرف . فلنذكر هذا ولنذكره دائماً عسى أن تنفعنا الذكريات اسماعيل مظهر



وأفريقية وأوربا . وإن سر هذا النجاح وسببه وأساسه هو الهجرة المحمدية التي انتقل بها محمد من مكة الجامدة الآسنة الراكدة العاصية المستقرقة في الماديات التثبته بالسلطة الدنيوية الآخذة من الملمات والأسمار بأوفر نصيب ، إلى المدينة الهادئة الهينة اللينة النقية النقية العفيفة المتعلقة بالمعاني والأرواح والنيل العليا الطاهرة

— ٢ —

يفنى البرايا ويأتي الوقت مختلفاً ليخرج الدهر تاريخاً من الأمم يدل استقراء التاريخ الخاص والعام على صدق القانون السبي، ومقتضاه أن تكون الفترة الفاصلة بين جسام الحوادث سبعمائة عام تقريباً . وقد حددت أعمار تلك الفترات تحديداً دقيقاً في كثير من كتب التاريخ كتجارب الأمم لابن مسكويه ، ومروج الذهب للمسعودي ، ومقدمة ابن خلدون ، وابن الأثير ، ومن كتب الأفرنج حوليات ناسيت الروماني وتاريخ انحلال رومة لجييون . ومن قبل هذه التواريخ العالمية أشارت التوراة والتلمود والشنة وتفسير الأحبار إلى هذا القانون . يقول بلاكتهم : « إن تاريخ العالم مقسم إلى فترات قد تدوم الواحدة منها حوالي سبعة قرون ، وقد تنقص أو تزيد قليلاً . فقد أسست روما قبل المسيح بسبعة قرون ودام سلطانها وتفوذها سبعمائة عام ، وفي نهايتها ظهر المسيح بدين جديد ينطوي على حياة جديدة ، وكان ظهوره مؤذناً بزوال تلك الدولة الرومانية العظمى التي حكمت العالم بالحديد والنار بعد أن فتحت بالقوة والحيلة . وظهر الاسلام في نهاية القرن السابع المسيحي ودامت عظمة الدول الاسلامية سبعة قرون . وفي سنة ٧٥٠ م نقلت الخلافة إلى بغداد بقيام دولة بني العباس ، ثم هاجمها المغول وقضوا عليها وعلى حضارتها » اهـ

ولم يظهر المغول وحدهم لناواة الاسلام ، فقد ظهر الصليبيون ونهضت أوروبا الحديثة تلك النهضة التي دامت سبعة قرون كانت نهايتها الحرب العظمى في أوائل هذا القرن . وقد بدأت نهضة الاسلام الحديثة في أوائل القرن الرابع عشر للهجرة . ومن العجيب أن تطبق هذه النظرية السبعية أو القانون السبي صحيح في حياة الأمم إذا أخذت كل منها على حدة ، فقد استمرت عظمة الأغريق الحربية والبحرية وعهد الفلاسفة سبعمائة عام ، ودولة الفرس عمرت سبعة قرون من أول تأسيسها لمهد كسرى ،

## الهجرة المحمدية أساس الحضارة الإسلامية

الاستاذ محمد طه جعفر



— ١ —  
دعا نبينا محمد  
عليه الصلاة  
والسلام العرب  
فلبى دعوته الكثير،  
وتلكا القليل ممن  
أعنتهم الأغراض  
والتنافع وأضلهم  
تنازع السلطان  
والسيادة . وقد  
أتى محمد بكتاب  
وآيات بينات

ومبادئ كانت عقول العرب وطبائعهم مستعدة لقبولها وفهمها قبل نقدها نقداً ينتهي بالقبول والانضمام إليها . وكان نبأ ظهوره ( عم بتساءلون ؟ عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ) النبأ الأعجب ، مما سجل في تاريخ الإنسانية . ولم ينقض عليه جيل من الزمان حتى نزل عروشاً كانت ثابتة الأركان ، وسطم دولاً عالية البنيان ، واكتسح ممالك وامبراطوريات رفيعة الترى مترامية الأطراف ، ومحا معتقدات عريقة في القدم ، وهدم ديانات مرت عليها الأجيال والحقب ولم تنل منها مائاته الاسلام في عشرين سنة . ويدهن المؤرخ المصري أن يعلم أن سائر الأديان نمت وترعرعت في ظل حاكم ناصراً أو ملك قاهر ، اعتربه الدين وتأيد حتى رسخت قواعده وثبت سلطانه ، ما عدا الاسلام . فكان الملوك والأمراء والأقوياء يقاومونه فيقلب عليهم ، ثم يحمى النسويين إليه فيمترون به ويستفلون بظله ويمظمون في أكتافه . وكان أول من علا شأنه بذلك الدين العرب أنفسهم ، فلم يكونوا قبله في المكان الأرفع ولا المنزلة السامية من الوجود التاريخي ، فنصرهم نصراً خارقاً ، حتى أصبح علمهم عالياً خافقاً ، في آسيا

— ٤ —

ومضى على حكم الملوك في إنجلترا سبعة قرون ، وبقيت إيرلاندا تحت الإنجليز مثلها . ونحن نذكر هذا القانون السببي لأهمية خاصة به ، وإن كان في ذاته ظاهرة تاريخية عجيبة تدل على دقة نظام الكون والعالم وخضوع حياة الأمم لقوانين من الزمان وموازين في الأعمال ، ولكن نذكره لعلاقته بظهور الإسلام ونهضته وهبوطه ، ثم بداية عهد الإحياء الذي ينبغي بالتجديد والبعث في المائة الرابعة عشرة . وقد أوضح صحة هذا القانون أوزفالد شبنجلر في كتابه « انحلال الغرب » وهستن شميرلين في « أسس القرن التاسع عشر » وولر في كتابه « صورة العالم في المستقبل » فليرجع إليها من يشاء من القراء

— ٣ —

إذن كانت بعثة الرسول وهجرته حادثين محتمين ، فكذب لهما التوفيق والنجاح على الرغم مما اكتنفهما من مظاهر الضعف . وقد أخطأ من ظن عداوة فريش للنبي وصحابته هزيمة أو وهمة ، أو أن زعماء الوثنية كانوا ضعفاء التكاية ، فقد كان المجتمع القرشي تام التكوين الاقتصادي والسياسي بالنسبة لحالة الحضارة المعاصرة ، وذا نظم حكومية وإدارية بارعة<sup>(١)</sup> . من ذلك أنهم جعلوا جائزة مالية لمن يطارد المهاجرين ويظفر بهما وهو ما تلجأ إليه شرطة الحكومات الغربية الحديثة . ومن الثابت أن محمداً وأبا بكر كانا منفردين لآنك لهما بعد أن تركا بطل الإسلام وسيفه ولسانه على ابن أبي طالب في فراش النبي ليخضع التأميرين بأن النبي ما زال في داره ولم يتأدر فراشه . وإن شجاعة علي في إثارة وإقدامه على التضحية بنفسه لا تقل عن شجاعة أبي بكر في مصاحبته . وكان من المستطاع أن يُقتال علي في فراش محمد ظناً من أهل الوثنية أنه المقصود بأسيا فهم وخنائهم . ولكن حياة علي كانت ضرورية للإسلام فأقنعه الله وهو الفرد الراقد المستسلم لقضائه وقدره . أما محمد وأبو بكر فلم يكونا هاريين ولا مدبرين لينجوا بحياتهما من أخطار محققة محدقة ولكنهما كانا قاصدين إلى طيبة ليفتتحا عهداً جديداً ويستهللا عصر كفاح وجهاد وجلاد وسلسلة انتصارات لم يسبق لها مثيل في تاريخ المعتقدات الدينية

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام تأليف كورمان

بجانب الثورة الاجتماعية التي أحدثها الإسلام قلب نظام المال رأساً على عقب، وحارب الرأسمالية، وحرم الربا، وقبح في البخل، وشرع الصدقة والزكاة، وحض على صلة ذوي القربى، ونظم الموارث ورتب حقوق المرأة، وألف القلوب بالبذل وبسط اليد للبعيد والقريب. وبالجملة أوجد طبقة جديدة من أوساط الناس لمقاومة عبادة المال، وحطم المثل العليا التي كان المكيون يمجّدونها. ولم يكن هذا الانقلاب بالشئ القليل. والذي غا ط أهل مكة وأحتقهم وأحرق أكبادهم أن محمداً بلغهم أن هذا التبديل ليس من عنده، ولكنه من عند الله، فهو أمر محتوم واجب التنفيذ، لأن إرادته أقوى من إرادة كل هذه الأوثان المسكرة في الكعبة والمنتشرة في الحواضر والبوادي العربية

— ٥ —

يدهش المؤرخ من قدرة محمد على مواجهة الشدائد والاضطلاع بأعقد المشاكل، فهذه المدينة التي هاجر إليها ولم يكن يعرفها من قبل إلا بالوصف والتصور بعد زيارته الأولى وهو طفل في حضنة أمه، كانت تضم إلى جانب الأنصار عناصر قوية وعتيدة من اليهود والمناقبين والمعادين من المترددين وغيرهم، وهي طبقات ثلاث يستطيعون أن يتقلبوا على المهاجرين والأنصار. وكان المناقبون واليهود والمعادون من حلفاء قريش أقوياء وأغنياء، والمهاجرون والأنصار ضعفاء وفقراء، حتى اضطر محمد لوضع نظام المواخاة. وقد اضطر بعض المهاجرين للعمل البدني لقاء أجور من الثمر، ولكن محمداً رأى أشد الخطر في اليهود الذين جمعوا بين المال والدكاء والجمال ودين منزل سابق لدين محمد ودين سلفه الناصري، إلى حيلة واسعة، ثم خيبة أمل يعقبها حقد دفين ورغبة شديدة في الانتقام. فقد عرف اليهود في محمد النبي المنتظر، ولكن كبرياءهم أبت أن يطأطئوا رؤوسهم أمامه، لأن القرآن أذاع حقيقتهم فانسح أنبياءهم وانتقد أطاعهم وعرض بأخلاقهم. وقد أعماه ما لهم، وأضلهم شهواتهم، وأصبحوا لا يتذكرون الرجال إلا تبعاً « للرصيد » الذي يملكه أحدهم. ولم يكن محمد عميلاً لهم إلا في الاقتراض منهم ولو برهن بمضد روعه. ولم تكن له في صناديقهم وخزائنهم ودائع ضخمة ولا هزيلة، لأن كل ما كان يصل إلى يده يتفقه في سبيل الله وفي حشد الجيوش وإعداد الحملات الموقفة؛

ما زال يغالطهم حسب أمر ربه وطاعة لوجيه، حتى حاربوه في السر والعلن، فذسوا له السم، وأعانوا عليه أعداءه، وحرضوا جيشه على الفتنة، وألقوا حزباً من « دعاة التردد والهزيمة » وهم المناقبون ومن لف لفهم وتواطأوا على خذلانه؛ فلم ير بدءاً من ضرورة طردهم من الجزيرة وإقصائهم وقطع دابرهم، فسبق حكام ألمانيا الحديثة بألف وأربعمائة عام في الوصول إلى الحقيقة المطلقة، وهي أن النصر المادي في الوطن يعمل على تدميره وتخريبه وبمطل حياته بعرقلة التعاون. فكانت موقعة خيبر موقعة حاسمة في تاريخ الإسلام بل في تاريخ العالم. أما النصارى فقد أوصى بهم خيراً. وكانت بيت المقدس في أيدي المسلمين منذ الفتح العربي؛ وكان الخليفة عمر يرمي حرمة الأماكن المقدسة النصرانية أيما رعاية وقد سار خلفاؤه من بعده على آثاره وسنته

قد نهض لتسامح الإسلام مع المعتقدات الأخرى في حين أنهم لم يألوا جهداً في النيل منه. وفي الحق أن محمداً جاء بالقرآن مصداقاً للتوراة والإنجيل وقال الله عنه إنه خاتم الأنبياء والمرسلين؛ وقد أمر باحترام النصارى واليهود وسامهم أهل الكتاب تمييزاً لهم عن عبدة الأوثان؛ وقد اتبع المسلمون ما أمرهم به نبيهم حتى هذا العهد الأخير. وكان ضلع المسلمين في صدر الإسلام مع النصارى بالتخصيص بدليل آية « غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين » وقد نال اليهود ما استحقوا بعد أن خانوا أمانة الله وتكثروا باليهود وحاربوا نبيه حرمت الشريعة الإسلامية الربا كما أن الشريعة المسيحية حرمته تحريماً لا يوصف، وكانت متشددة في ذلك ما استطاعت، فكانت النتيجة أن اليهود انبروا في الميدان وظلوا قروناً عديدة محتازين التجارة يجنون ثمارها، لا يشاركون في ذلك مشارك ولا يزاحمون مزاحم. وكانت الشريعة الإسلامية قائمة على تكريم العلم، والقرآن حافل بالآيات التي تحث عليه، وكذلك الحديث، فقد جاء فيه: « أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد. واطلبوا العلم ولو في الصين. والحكمة خالة المؤمن. ويوزن مداد الحكماء يوم الشهاد يوم القيامة. والعلماء ورثة الأنبياء. وما خلق الله شيئاً أفضل من النقل »

- ٦ -

من أعمال نبينا عليه الصلاة والسلام تأسيس الرابطة الاسلامية التي جمعت بين قلوب المسلمين في أنحاء العالم جمعاً إنسانياً، فجعل العقيدة الروحية فوق الرابطة الجنسية، وجعل للإنسانية مثلاً أعلى بجانب حب الوطن فقال إنه من الإيمان، وحض على الأخاء وحب البشرية. وما كانت تلك الجامعة الاسلامية سوى الشعور بالوحدة العامة والثقفة مع فكرة التوحيد ووحدة الوجود. نعم كانت الجامعة الاسلامية العروة الوثقى لانفصام لها، وقد أنشأها النبي منذ شرع يجاهد بالمدينة فالتف حوله المهاجرون والأنصار والمؤمنون من كل طبقات المجتمع، ففهم الرقيق أمثال بلال، والسادة الأعيان كعثمان بن عفان، والأبطال كخالد بن الوليد. وقد ولدت تلك الجامعة التي ربطت بين قلوب المسلمين في المدينة المنورة وهي التي أعانت على هزيمة الشركين بعد قتالهم وتأسيس الحضارة الاسلامية التي يفخر بها العالم

وفي أثناء الهجرة المحمدية أعد محمد وسائل الاستبلاء على مكة، فقبل صلح الحديبية ونفذ بنوده بالدقة، ونفص حياة القرشيين بالحرب والحيلة، وقلب هزيمة أحد انتصاراً سياسياً باهرآ، واستعمل سلاح الدعاية فغزا عقولهم وقلوبهم وأخلاقهم قبل أن يغزو بلادهم، وهزم إرادتهم قبل أن يهزم جنودهم، وهدم حصون نفوسهم، وحطم مثلهم العليا البالية قبل أن يهدم قلاعهم أو يحطم أبنائهم وأوتانهم طائفاً للوحى الإلهي، وقامياً للمشورة الحسنة من صحابته حتى الأجانب منهم كعثمان الفارسي الذي وهبه لقب الأمانة، كما فعل بدمه ملوك أوروبا إذ جعلوا يسجارك « برنسا » أو أميراً، فقال محمد: « سلمان منا آل البيت ». وكان في كل هذا إنساناً سامي الأخلاق كيتساً، بهذباً ناضج الرأي، لين المبركة سمحاً، لم يجد فيه خصومه عيباً. وهكذا شهد له الأعيان بعد انقضاء الأجيال فقال وز في تاريخه العام: « كان محمد أكثر الأنبياء نجاحاً » ولا عجب ولا غرابة فمحمد هو الإنسان الكامل

- ٧ -

كان محمد عليه الصلاة والسلام نبياً مرسلًا ومصلاً ومشتعراً، وجاء دينه وهو الأهدى انطوى على شرائع وقوانين سياسية واجتماعية واقتصادية تقوم اعوجاج الفطرة البشرية، وتؤهل الفرد للمعيشة في المجتمع الإنساني عيشة راضية راقية، ومكتنفة لتابعيه

تأسيس أعظم دولة عرفها الشرق والغرب. وقد طبقت قواعده وظهرت مزاياه الصالحة في الحروب والمهادنات والمعاملات الدولية وأثناء السلم؛ ولو نفذ بنصوصه لأعنى العالم عن نزاع الرأسمالية والعمال، ولأنتمت المشاغبة من الوجود، لأن أحزاب الشمال في أوروبا ولا سيما روسيا لا يملقون إلا بمعص قواعده التي تقر العدل والرحمة والمساواة وصمان حرية الفرد وسعادته

وما كان ينفص شيئاً منعه الشرائع والقوانين الجامدة التي تقيد العقل فتقوده صاغراً أعمى. وليس القرآن إلا كتاب هدى للمؤمنين ورحمة وليس عثرة في سبيل ترقى المجتمع والآداب والشرائع والقوانين والمدارك العقلية. ونحن الآن في القرن الرابع عشر الهجري وقد بدأت فيه نهضة الإسلام حقاً كما بدأت نهضة أوروبا في القرن الرابع عشر المسيحي. ومتى وضع الإسلام في البوتقة وأخرج منه ما علق من الأباطيل الخداعة، عاد إلى أصله وهو توحيد الله تعالى والإيمان بأن محمداً هو رسول الله عليه الصلاة والسلام محمد لطفي جمعة

\* \* \*

أهم للراجع :

سيرة النبي تأليف بوه؛ دستور المدينة : تويلهاورن؛ إغلاخ اسرب :  
نفسطر؛ اسرب قبل الاسلام : رسيغال كوصان؛ الضغات الكبرى :  
لابن سعد؛ السنة المحمدية : حوله رهر؛ كتب البيرة وتاريخ مكة : للأزرق

## مجلة الرواية

أرقي مجزة قصصية صدرت في الشرق

تسدى عقلك وذوقك بروائع الأفايصص المنوعة والمنقولة. تصدر عن دار الرسالة مرتين في الشهر؛ واشتراكها في مصر ثلاثون قرشاً، وفي الخارج خمسون. مجموعة سنيتها الماضية تشتمل على النص الكامل لكتاب (اعترافات في العصر) لألفريد دي موسيه، وملحمة الأوديسة لهومبروس، وكتاب (مذكرات نائب في الأرياف) لتوفيق الحكيم. وعلى ثلاث مسرحيات طويلة وعلى ١٢٠ أنصوفة من أروع الأفايصص في أشهر اللغات، ونحن المجموعة في مجلدين ٣٥ قرشاً و ٢٥ قرشاً بدون تجليد عدا أجرة البريد

## إلى الأمّة الإسلامية

في عامها الجديد

للأستاذ محمّد عرفة  
استاذ كلية الشريعة العربية



للشعوب أخطاء  
كما للأفراد أخطاء،  
وشر هذه الأخطاء.  
ما يقع في القواعد  
الاجتماعية، إذ  
الخطأ فيها تكون له  
نتائج سيئة الأثر  
تتجسرع الأمم  
غصصها ما دامت  
فيها هذه الأخطاء.  
وخير ما يسديه

إلى أهمهم رجال الاجتماع والعلماء بروح الجماعات وطبائع الشعوب  
أن يصلحوا لهم هذه الأخطاء ليجنبوهم شرورها، ويصلحوهم  
بإصلاحها. إن لكل خطأ مهما كان أضراره، فالرجل إذا أخطأ  
الجادة ردى صاحبها في الحفرة أو تثر بحجر، والمرء إذا أخطأ  
في تجارته منيت بالبوار، وصاحبها بالخسار؛ وإذا أخطأ في  
طعامه وشرابه ولباسه فقد الصحة وعاودته الأوجاع والأسقام

هذه أضرار تنشأ عن الأخطاء، وهي وإن كانت شديدة  
ولكنها لا تبلغ ضرر خطأ الجماعة في قاعدة اجتماعية، لأن الضرر  
يكون عاماً بقدر ما في هذه الجماعة من عموم دائم بقدر ما في الخطأ  
من مكث، بالغ في الشدة بقدر ما في الخطأ من انحراف عن  
الصواب. وإن الأمة الإسلامية لها أخطاء في القواعد الاجتماعية  
تجني منها الألم والحسرة. وقد رأيت أن أصلح لها خطأ من هذه  
الأخطاء وأجمل ذلك هدية مني إليها في مسهل هذا العام الجديد.  
وسأذكر هذا الخطأ وإصلاحه بمد أن أذكر بين يديه مقدمة

إن كل شيء في الكون يتنازع الوجود، والبقاء في هذا  
التنازع للأقوى، وقد كان الفرد قبل تكون الجماعات يتنازع

الفرد، ثم التمس أسباب القوة بالاجتماع، وقد أخذ الاجتماع أشكالاً  
عدة من الأسرة والمثيرة والبطن والقبيلة، وقد كان النزاع بين  
الأسرة والأسرة والقبيلة والقبيلة نتيجة غلبة الأقوى تبعاً لقانون  
إنما العزة للكاثر؛ ثم أخذ الاجتماع شكلاً أوسع بالمدينة والمملكة  
فكان أهل كل مملكة يكونون وحدة مستقلة تجلب لنفسها الخير  
وتدفع عنها الضرر، ثم جاء الدين الإسلامي فكون وحدة إسلامية  
لم تبلغ وحدة من العظم والتجانس ما بلغت هذه الوحدة

عمل الإسلام على غرس المحبة والتضامن بين أجزاء هذه  
الوحدة فقال: إن يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه  
وقال: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

وقال: ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتساطفهم كمثل  
الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى  
أحب السلم أخاه السلم وساد على المملكة الإسلامية المحبة  
والسلام فتعاونوا على جلب النافع ودفع المضار

لقد أتت هذه الوحدة بالمعجزة الاجتماعية المظلمى فقد كان  
العرب قبل الإسلام ينتقصون من أطرافهم، وكان من بجوار  
الشام عمالاً للروم، ومن بجوار الفرس عمالاً للفرس. فلما جاء  
الإسلام أعز الله به العرب والمسلمين، فلم تمض عشرون سنة من  
عمره حتى هدد هؤلاء الأفلون الملكيين التاخطين الفرس والروم  
وانتقصوها من أطرافهما، ثم عقب ذلك أن ورث ملك الأكاسرة  
ومعظم ملك القياصرة

هذه المعجزة الاجتماعية إذا بحث الرء عن سببها وجدها في  
الوحدة الإسلامية، فقد بدل الإسلام تفرقهم اجتماعاً، وبفضهم  
حباً، وحربهم سلماً، وبعد أن كان بأهمهم بينهم شديداً حول هذا  
البأس إلى الآخرين، لذلك من الله على المسلمين بهذه الألفة  
(واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم  
بنعمة إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها،  
كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

(لو أنقذت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن  
الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم)  
للغرب طمع في الشرق من قديم، وقد غالبه مرات وهو

ينحقق ، قامت الحروب الصليبية ، ونزع الغرب على الشرق وهاجمه في عدة من ثموره وبلداته ولكنه لم تجده هذه المحاولة وهذه المهاجمة ، فعاد إلى الحيلة ورأى أنه يستطيع أن يدرك بالحيلة ما عجزت عنه القوة

الغرب عالم واسع العلم لا يسير إلا ومصباح العلم أمامه يهديه السبيل ، وبصره مواقع أقدامه ، نظر إلى الحسم الاسلامي فرأى أنه ليس بضيره أن يتر منه عضو من أعضائه ، إنما الذي بضيره ويقدره عليه هو إضعاف روحه ؛ وقد رأى روحه الوحدة الاسلامية فمد إليها وسماها تمصبا دينيا محموتا ، وسعى التعاون الديني تمصبا اسلاميا هجيا ، وأسغ عليه ماشاء من نموت الدم والرحشية ، فدخل ذلك على الشرق — وهنا وصلنا إلى ما نريده من الخطأ الذي وقعت فيه الأمة الاسلامية — فآمنت بنظرية الغرب ، وسمتها تمصبا دينيا ، وخجلت من أن توصم بالتعصب الديني ، فتركت هذه الوحدة القدسة ، ونفرت من هذا التعاون الاسلامي ، فلما ضعفت الروح سهل التغلب على الحسم

كان على المسلمين أن يعلموا أنه لا مقاومة في الوجود إلا بوحدة . وقد ظهرت هذه الوحدة بمظاهر مختلفة منها الوحدة الجنسية ومنها الوحدة الوطنية ، ومنها الوحدة الدينية ، وإذا استمسك الغرب بالوحدة الجنسية أو الوطنية لما فيها من الإقدار على الكفاح في هذه الحياة ، فعلى المسلمين أن يستمسكوا بما صوبوا فيه من وحدة اسلامية ليقدروا أيضا على الكفاح في هذه الحياة كان على المسلمين أن يعلموا أن التعصب الديني موجود في أمم الغرب التي تسيب المسلمين بالتعصب الديني ، يظهر ذلك في أعمالهم وكثير من نواحي حياتهم ، وأقرب ذلك تطوع بعض الأوروبيين والأمريكيين في جيوش الأسبانيين ، والفرنسيين ضد الربيين المسلمين الذين كانوا يدافعون عن وجودهم ، فلو أن التعاون الديني كان نقيصة كما يزعمون لما نهوا عنه غيرهم وأنوه هم

كان على المسلمين أن يعلموا أن الوحدة الجنسية والوطنية في أوروبا قد أنت من الفظائع ما لم تأت بمنثله ولا بأقل منه الوحدة الاسلامية في الاسلام ، وآية ذلك معاملة الألمان لليهود ، وتلك الحروب الطاحنة توجب نازها المعصيات القومية أو الجنسية . ليس في الوحدة الدينية ما يمكن أن تؤخذ به إلا أنه قد يكون في الوطن

الواحد أديان مختلفة؛ والوحدة الدينية ربما عادت بين هذه الوحدات، ولكن الاسلام قد احتاط لذلك ، وأوصى المسلمين بهم وأوجب أن يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم

حافظ الاسلام على أهل الدمة وذوي اليهود والموائيق من ذوي الأديان المخالفة ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتسقطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون )

على الأمم الاسلامية أن تفلح بعد اليوم عن هذا الخطأ وأن تعلم أنها وقعت فيه في بعض تلك الموجات التي تنمر الأمم فتلهيها عن مصالحها ، ولا يخافن أهل الدمة في بلاد المسلمين وذوي اليهود مع المسلمين من إحياء الوحدة الاسلامية فأنها تقوى جيرانهم وأهل عهدهم ولا تصيبهم بأذى لأن الاسلام كما قدمت يوصى بأهل الدمة وبإلوفاء باليهود

محمد هرفه

## الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الطائف

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ، وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه ناقدر أبي الملاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة في القاهرة وصدر منذ أسبوع

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زرناني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة

ويباع في جميع المكتبات الشهيرة



من نمرات الهجرة

## جهاد شهيد للاستاذ سعيد الأفغاني

كلما أظلم الكون عام جديد التفت المسلمون إلى المآلى المبد  
يستوحونه العبرة ويتفكرون منه الدرس . وكفى في صدر الاسلام  
من عظات ، وكفى به من دروس يعصى ايمان وحى لا تغدر  
وانها لتعود على كل ناظر فيها بما يحفز الهمة ويوطئ الوجدان  
وعلاء النفس حية وانقلب حشراً . وما أخرى الأقطار  
العربية عامة أن تتأمل في تاريخها المجيد وخدمة ما حب  
بمحدث الهجرة الكبرى من أدى واضطهاد ، ظفر من سدها  
المؤمنون الصابرون ، لتستشعر القوة والاقدام وهي تكايح  
من طين المحتلين وكيدهم ما بعد مع الصبر وتيا الحيلة وتكلى  
القوى . ومتى رأوا ما فعلت العقيدة والاخلاص في نفوس  
أسلافهم ، الذين كانوا أضمت منهم اليوم وأنتروا وأقل عدداً ،  
مضوا في جهادهم مستحيين مائة ، وليس بينهم وبين النصر  
إلا أن يضلوا ما فعل الأولون

سمع دعوة الاسلام فانشرح لها صدره ، وطرب قلبه ، ودخل  
في الدين الحق فاشرب حبه والاخلاص له والاستقامة من أجله ،  
وشمل أهل بيته ما شمله من رحمة الله فاغتبطوا ذكوراً وإناثاً بما  
ساق إليهم ربهم من خير  
وكان نعيمه من الدنيا أن يرى رسول الله أو يجلس معه  
أو يستمع إليه ، وهو يجسد في ذلك لذة تنمر وجوده كله فيذهل  
عن الدنيا وما فيها من متاع وهو ليفرق في عيبوبة روحية سامية ،  
يسمع الوعظة فيلتمها التهاماً ثم لا يلبث أن يندفع عاملاً بها  
بمحاسة جامحة تثير عاطفة الخير في كل قلب . وكان في سيرته مثلاً  
كاملاً للمسلم الحق الذي آمن بالله فعبده مجتهداً حق العبادة ،  
وأحب الخلق جميعاً فمنحهم من نفسه الرحمة والخير والحب  
والإحسان

ولقد رفق من نفسه ما كان بلغه من سيرة الرسول في مكة ،  
وما تحمل هو وأصحابه من أذى المشركين واضطهادهم في سبيل  
الله ، حين دعاهم إلى الخير فصدوا عنه مستكبرين ، وعرض عليهم  
الإسلام فاسمؤوه في دينه وإلهه ما بكره ، ثم زادت وقاحتهم  
فرجموه وشتموه وأخرجوه وأجاعوه ؛ وهو مع أصحابه الأخيار  
صابر ساكت يدعو لهم وينتظر فرج ربه

وكان أنس بن النضر على عقيدة في الله راسخة وإيمان  
صليب ، ملك عليه الإسلام لبسه وتمكن حب الله وحب رسوله  
من قلبه ، وهو مع كونه من خيار الأنصار قولاً وعملاً ومع  
فرط محبة النبي له ، شديد الحسرة على أنه لم يكن ممن أودى في الله  
بمحبة ، وأنه فاته بذلك شرف عظيم استأثر به المهاجرون الأولون ؛  
ولم يكن يميزه إلا أنه يتلث حتى تكون فرصة سعيدة يخرج فيها  
عن حق الله في ماله وأهله ودمه

وكانت النفرة الأولى إلى بدر ، حيث تصاول الخير والنشر  
كفاحاً ، وحيث وقف المؤمنون صفاً واحداً سلاحهم التقوى  
وإيمان بالله لا يتزعزع ، واثقين بأنه لا بد ناصرهم مع قلتهم  
وضمهم على الشرك وأهله الذين خرجوا بطرين مستطيلين ، عادين  
على الله وعلى رسوله والمسلمين . واقد صدق المسلمون يومئذ الجملة  
وأخلصوا النية ، وأرخصوا في سبيل الله دماءهم وأموالهم فنصرهم  
الله النصر المؤزر ، ورجعوا إلى المدينة مقتبطين بما أذل الله من  
الباطل ورفق من الحق ، وما مكّن لهم من صناديد قريش حتى  
أوسمهم قتلاً وأسراً

وكان صاحبنا أنس قد عاقته الموائق عن شهود بدر ، فلما  
بلغه ما كان ثمة من جهاد واستقامة ، وما حل بالقوم من رحمة الله  
ورضوانه ، حزن حزناً ما حزنه أحد قط ، وكلما سمع من النبي  
صلى الله عليه وسلم ما خص الله به أهل بدر من الفضل والخير ،  
تقطع قلبه حشرات على ما أخطأه من فرصة كان يترقبها بفارغ  
الصبر منذ عرف الإسلام ، لذلك أراد أن يأخذ على نفسه عهداً  
يشهد عليه الله والنبي والمسلمين ، حتى لا يصيبه في المستقبل  
ما أسابه في الماضي ؛ فخرج إلى رسول الله مُنصرقاً من بدر وإن  
سيئه لتفصح عن ندم شديد وعزيمة صادقة ومحاسة متأججة ،  
عرف ذلك في وجهه كل من رآه ، فلما وقف على النبي في أصحابه  
قال له :

« يا رسول الله ! غبت عن أول قتال قاتلت به المشركين ،  
لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين ما أمتنع »  
\*\*\*

لبث أنس ينتظر موأاة الفرص حتى بلغ أهل المدينة ما جمع  
لهم أبو سفيان من الخيل والرجل ، وما طابت به نفوس المشركين  
من رجوعهم في العير لينفق على حرب النبي وأصحابه ، وكان ذلك

حسين ألف دينار . وما كانت قريش ولا حلفاؤها تسمح بهذا  
وهم التجار المحاص على المال<sup>(١)</sup> ، لولا ما ملأ صدورهم من الفيض  
والحنق والكراهة للمسلمين على ما فعلوا بهم يوم بدر

شاوَر الرسول أصحابه فيما يصنع فكان الرأي أن يتحصنوا  
بالمدينة ، حتى إذا أترم قاتلهم عنها . وكان من قول عبد الله بن  
أبي : « يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا  
إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصابتنا منهم .  
فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس وإن دخلوا  
قاتلهم الرجال في وجوههم ورمم النساء والصبيان بالحجارة من  
فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا »

وأنى لم أن يجمعوا على هذا الرأي وفيهم من يتلف شوقاً  
إلى حرب المشركين « فقد كان رجال من المسلمين أسفوا على  
ما قاتلهم من مشهد بدر لما سمعوا النبي يخبر بفضل من شهدها  
وعظيم ثوابه ، فودوا غزوة يتلون بها مثل ما ناله البديون وإن  
استشهدوا » فلم يجيبهم ما قال المجربون من الرأي الهادي  
الخير ، وتلبت عواطفهم الجياشة ، واشتد بهم الظم إلى الشهادة  
حتى قالت طائفة منهم :

« إنا نخشى أن يظن عدونا أننا كرهنا الخروج جيتاً عن  
لفائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا »

وقال حمزة : « والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم  
طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة »

وقال النعمان بن مالك : « يا رسول الله لا تحرمنا الجنة ،  
فواللهي نفسي بيده لأدخلها » الخ

ووافق هؤلاء مشيخة من المهاجرين والأنصار فكانت  
غزوة أحد ، وكان أول الناس إسراعاً إليها وأشد فرحاً بها  
أنس وأخته ، وخرج إليها كثير من الأحداث والنساء ، فألبوا  
فيها البلاء المحمود ، دفاعاً عن دينهم وزياداً عن نبيهم وشوقاً إلى  
ما عند الله

\*\*\*

شب القتال ؛ وكان المشركون ثلاثة أمثال المسلمين أو يزيدون ،  
ونصر الله المسلمين أول الأمر ، حتى إذا ترك الرماة مواقعهم التي  
أمرهم الرسول لزومها كان ما هو معلوم للجميع ، وزلزل المسلمون  
زلاً شديداً وكثر فيهم القتل وانهمزم فريق وثبت فريق

(١) أظن شرح ذلك وافيّاً في كتابنا ( أسواق العرب في الحامية  
والإسلام ) ص ١١٦ وما بعدها

وأشيع أن رسول الله قد قتل وأسقط في أيديهم . هنالك كان  
الامتحان الأعظم للبطولة والإخلاص فحصى الله للشهادة  
الأخيار ، وزاد القروم البواسل عن الرسول ذباد المستميت ،  
وعمد النساء إلى السلاح بأخذنه من المهزمين ققاتن به حتى  
كانت ضروب الشجاعة والبسالة التي أتاها النساء فقط ، صفحة  
مجيدة تنقطع دون الظفر بها رقاب الفحول المذاويد الأبطال ؛  
وكان من ثبت من الصحابة نفرأ ضئيلاً وقع عليهم نبي الرسول -  
وقوع الصاعقة فخاروا في أمرهم بمد أن ترك أكثرهم القتال  
ووهنت نفوسهم وألقوا بأيديهم ؛ إذ ذاك ، يدركهم الله بهذا  
البطل المجاهد المغوار ، أنس ابن النضر يسألهم فيم جلوسهم  
والحرب قائمة ؟ فيقولون : قتل رسول الله ؛ فزداد حمية واستبسلاً  
ويهز من فرعه إلى قدمه وتتجدد فيه معاني الجهاد السامية  
فتتألق عيناه ويلتمع وجهه ويكاد دمه ينفر من عروقه وترسم  
عليه سمات الصلابة والمزعة والامدفاع ويفتر ثمره عن هذه  
الكلمات الملتهبات تذكروهم بالواجب الذي ذهلوا عنه ، وتحفزهم إلى  
الشهادة ، وتدفع أجبن الناس إلى اختحام الغمرات

« فاصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ،  
أفلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله  
عز وجل شهداء » ثم قال : « اللهم إني أعتذر إليك مما صنع  
هؤلاء ( يعني أصحابه ) وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ( يعني المشركين ) »  
انقضت على سامعيه لحظة كانوا منها في مثل لحج النور من كلماته ،  
فألهمهم ودفعهم إلى الموت دفعاً ؛ ثم انطلق نحو جوع المشركين  
فاقى في طريقه سعد بن معاذ فقال له : « يا سعد ؛ الجنة ؛ ورب  
النصر إني لأجد ربحها من دون أحد » ورمى بنفسه وسط الجموع  
الحارقة الظافرة ، ضارباً وطاعناً ، فأشرعت إليه الرماح وأسلت  
عليه السيوف وسالت منه الدماء على جوانبه ، وهو لا يحس لتلك -  
وخزاً ولا يشعر لهذه بألم ، ولا ينفك متغصناً على الأعداء مفتحجاً  
صفوفهم ، يوسمهم تقتيلاً وإمخاضاً ، غير آبه للرمح تنافوشه ،  
ولا للسهم تنفذ فيه ، ولا للسيوف تقطع منه ، وإنه مع هذا كله  
لا يرى أنه بذل في الله طائلاً ، وكما ازداد الدم منه انصباباً زاد  
على أعدائه كراً وإقداماً حتى أكرم الله هذه الروح الزكية  
فسالت على قصد الفنا وظلبي السيوف فاستأثر سبحانه بها ،  
وأما ما عنت من الشهادة لتعلم ببقائه وجواره في عليين

يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون ، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بهذه من الله ، تأسبشروا بينكم الذي يابستم به وذلك هو الفوز العظيم »

ونحمد الله على أن هذا الفيض المقدس من شرف الدفاع ، ما زالت أمداده متصلة باستمرار ، وما زال الشهداء يتوافدون على ميادين الجهاد ؛ وما رحت هذه الطائفة المختارة من المسلمين تتكالب عليها الأعداء من كل جانب ، وما انفكت عرضة لتأليبهم وهمجيتهم وضراوتهم والله يمتحن الخلف بما امتحن به السلف ، ويخص من شاء منهم بكرامته . في كل بلد إسلامي ميدان جهاد وشهداء دفاع ، وفي كل بقعة عربية عدد مستبشع وقافلة تستشهد ولن يزال إلى قيام الساعة تستشهد ، ولن يزال إلى قيام الساعة تناسي تلك المصبة الطاهرة من شهداء أحد ومجاهديها ، ولا تنفأ منا طوائف تترى على آثار من سلف من أولينا كما خلت مواضع في الصف احتلتها فوج ؛ ولم ينس الناس بمد تلك الأرواح البريئة التي صعدت إلى بارئها في العراق وسوريا وفلسطين ومصر وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش ، وهي تكافح أحفاد الصليبيين من برطمان وفرنسيس وطلبان وإن هذه القوافل تستمر في تلبية نداء ربها بتبهاقها على الشهادة ، كلما رددت المحارب ما أنزل الله في أبطال أحد :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً »

فيا أيها الشهداء المخلصون الأبرار من لدن أحد ويدر إلى

معارك فلسطين وساحات المغرب الأقصى اليوم !  
ويا أيها الحلقة النورانية التي انتظم فيها أنس بن النضر وعبد الرحمن النافق ... حتى عمر المختار وعمر الدين القسام وفرحان السعدى ومن يخلف هؤلاء وأولئك في مشارق الأرض ومغاربها !  
هنيئاً لكم الكرامة في دار الخلد ، فقد غضبت للحق وحميت الحرمه وحفظتم البيضة ، وجردتم سيوفكم تذودون لصوص الأعراض والأموال والأديان من ذئاب البشر الجائعة الضاربة ، وتدافعون عن الشرف والنبل والخير والثل السامية ، حتى أسلمتم أرواحكم وقدمتم على ربكم بمناياكم تشكون وحشية الطامعين وقظائع المحتلين

يا أيها الشهداء المجاهدون : لا حرم الله دنيا من أمثالكم فأنتم منار الهدى ومصابيح الظلام . وعليكم رحمة الله ورضوانه  
سعيد الوفاة ( دمشق )

ولقد أحى بكلماته تلك أنوف المهاجرين والأنصار ، فمشوا على أثره وكروا ثانية على العدو ، واجتهدوا في القتال ؛ إلا أن أحداً ما بلغ مبلغ أنس رحمه الله ورضي عنه ، حتى إن سعد ابن معاذ — على ما أبلى في العدو يومئذ — ليحدث عنه بمد الحرب فيقول : « ما استطعت يا رسول الله ما صنع »

\*\*\*

انقضت المركة حافلة بضروب البطولة ، وطلق السلون يتحرون قتالهم لموارثهم التراب ؛ وإنهم لفي شأنهم إذ وقفوا على جثة لم يعرفوا صاحبها لأن السيوف والرماح لم تبق على شيء من ملاحه قط . ياللول ويا للباله ؛ بضع وثمانون بين طعنة برمح أوزيرية بسيف أورمية بسهم ، يتلفاها رجل واحد فقط ، ثم هو بمد ذلك لم يشف صدور أعدائه الحنقين عليه لما ملأ قلوبهم حرداً وغيظاً من كثرة ما فعل فيهم ، لم يُردأ كبادهم كل ما نالوا منه ولم يذهب غيظ قلوبهم قتله ، بل شوها الجثة ومثلوا بها ، لقد بلغ من المسلمين هذا النظر أمدأ بعيداً ونفضهم نفضاً من شدة التأثر ، وعظمت رغبتهم في معرفة صاحب الجثة ، ولشوا مدة لا يهتدون إليه ، حتى تقدمت امرأة مجاهدة تحدت منها العبرات الحار ، وهي تحديق في أنامل الشهيد ثم قالت : « هو أخى أنس بن النضر ، عرفته بينائه ! »

\*\*\*

رجع المجاهدون الأبرار ، الذين اسطفاهم الله رسلاً إلى الإنسانية المعذبة بفيضون فيها الرحمة ، ويشيعون العدل والإحسان ، رجعوا إلى المدينة يحفهم رضوان الله وتنزل عليهم رحمته ؛ وقد خلفوا في أحد سيمين بطلاً استأثروا بإخلاص ليجملوا كلمة الله هي العليا ، فنصت أرواحهم بالشهادة . ولئن كان من بقي منهم على قيد الحياة قد أبلى البلاء الحسن وبذل طاقته ومجهوده ، فإن الحسرة لتذيب كبده على أنه لم يحفظ بما حظى به إخوانه من شرف الشهادة ، ولم يخفف من حشرتهم إلا أملهم في أن يكرمهم الله بها فيما ينتظرون من معارك

لكن الله سبحانه رضى عن هؤلاء وأولئك ، وأنزل فيهم قرآناً ما يزال الناس يتنونه والعبرات تجري غزيراً من ماقيهم ، وما زال هذا الصوت الإلهي المقدس بهيب بالسلمين والمستضعفين مدوياً في الآفاق :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة

## فخذ في أطوار حياتك

در ست حستنه

استند من سجدت سجدت

(قل لو شاء الله ما جوعكم ولا أدرككم)

فقد لست منكم عمراً من قد أفلا تفقهون

(سورة يونس - ١٠١)

بعث محمد  
صلى الله عليه وسلم  
فكانت معجزة  
الكبرى هذا  
القرآن الكريم  
بفصاحته الباهرة  
وما جاء به من  
تشريع قويم في  
أمسول الدين  
وفروعه ، على أنه  
كان مع هذا يلجأ



إلى العقل فيستعين به في تأييد رسالته ، وإلى العلم فيستخذه في إثبات نبوته ، وإلى هذا تشير تلك الآية الكريمة من سورة يونس (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد بئت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون)

فهو يقيم في هذه الآية دليلاً على صحة نبوته يستند إلى دراسة تاريخه قبل النبوة وبعدها ، وإلى دراسة نفسه في هذين الجانبين ، والدراسة الأولى فرع من علم التاريخ ، والدراسة الثانية فرع من علم النفس ، وستقوم الآن بهاتين الدراستين ، وتلتبع فيهما أطوار حياته صلى الله عليه وسلم

الطور الأول : ولد صلى الله عليه وسلم بنبأ عاتلاً ، لم يرث من والده شيئاً ، لأن أباه مات قبل جده عبد المطلب وهو شاب لا يكاد يجاوز حد العشرين ، فلم يرث شيئاً من مال أبيه ، ولم يتمكن من أن يجمع شيئاً لابنه . بل مات بعد شهرين من حملته ، ثم لم تلبث أمه أن ماتت بعد موت أبيه ، فكفله جده عبد المطلب ، ثم كفله بعد وفاة جده عمه أبو طالب

وكانت قريش تعيش في مكة عيشة منحصرة تعتمد على السمن والكسب ، ولا تعرف ما تسقنه البادية المربية في معيشتها من الغزو والنهب ، فأنشأ محمد صلى الله عليه وسلم على غريرة قومه ، عملاً للعمل ، راعياً في الكسب الحلال ، وهو الذي قال بعد هذا في رسالته : أطيب الحلال أن يأكل الرجل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده

فما بلغ مبلغاً يمكنه معه أن يعمل عملاً أخذ يرى النعم مع إخوته من الرضاع في البادية ، ثم مضى في هذا العمل بعد أن رجع إلى مكة ، فكان يرى النعم لأهلهما على قراريط بأحدهما منهم ، كما روى هذا الامام البخاري في صحيحه

وكان في هذا الطور يعيل إلى شيء من اللو البري ، وتذكره عناية الله فيه كما تدرك كل شاب موفق ، وقد حكي عن نفسه في ذلك بعد رسالته فقال : لما نشأت بُفَضْتُ إِلَى الْأَوْتَانِ وَبُنِصْتُ إِلَى الشَّعْرِ ، ولم أُمِّ بَشْي . مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ، ثم ما همت بسوء بعدها حتى أكرهني الله برسالته ، قلت ليلة لئلام كان يرى مني : لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر كما يسمر الشباب ، فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفاً بالدفوف والزامير لمرثس بعضهم ، فجلست لذلك فضرب الله على أذني فذمت ، فما أيقظني إلا مس الشمس ، ولم أقض شيئاً ، ثم عراقي مرة أخرى مثل ذلك

الطور الثاني : فلما بلغ صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة أخذ يعمل في التجارة مع عمه أبي طالب ، فصار معه إلى الشام للتجارة وهو في هذه السن ، ولما حذق التجارة انفراد بنفسه عنه . وكان في مكة سيدة تاجرة ذات شرف ومال تدعى خديجة بنت خويلد من بني أسد بن عبد المزي بن قصي ، وكانت تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه ، فسمعت عنه من الأمانة والصدق ما رغبها في أن تستأجره للتجارة في مالها ، وكانت سنة في ذلك الوقت حمساً وعشرين سنة ، فاستأجرته ليخرج في مالها إلى الشام للتجارة ، على أن تعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره ، فصار إلى الشام مع علامها ميسرة ، فباعا وابتاعا وربحاً وربحاً عظيماً ، فمرت به تلك السيدة الكريمة ، وكان زوجها قد توفي ولم يتزوج بعده فأرسلت إليه تحطيه لنفسها وكانت سنها نحو الأربعين ، فقام مع

إلا أمر نفسه ، ولا يعنى بشيء من أمر غيره ، اللهم إلا بعض الأعمال الصالحة التي كان يقوم قومه بها ، فكان يشاركهم فيها ويقوم بنصيبه منها ، كما حصل منه في حلف الفضول بدار عبد الله بن جُدعان التميمي ، وكان التحالفون فيه بنو هاشم وبنو المطلب ابني عبد مناف ، وبنو أسد بن عبد المطلب ، وبنو زهرة ابن كلاب ، وبنو تيم بن مرة ، تحالفوا وتماقدوا ألا يحدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه حتى ترد إليه مظلمته ، فحضر محمد صلى الله عليه وسلم هذا الحلف مع أعمامه وقال فيه بعد رسالته : « لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن يبه حُرُّ النَّسَم ، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت »

ولم يمن صلى الله عليه وسلم في هذه الأطوار بشيء من الفصاحة والبلاغة ، ولم يحاول أن يكون بين قومه خطيباً أو شاعراً ، بل كان يكره الشعر كرهه لمباداة الأصنام ، مع أن الجزيرة العربية كانت تعج في ذلك الوقت بالشعراء والمطغبات ، ولكن قريباً كانت لا تعنى بشيء من ذلك ، وإنما كانت تعنى بالمال والتجارة عناية أبناء عمومته من اليهود ، حتى كان حظها من الشعر دون حظ غيرها من القبائل ، وإن كانت لنفسها أفصح اللغات العربية ، وإن كانت مواسم الأدب وأسواقها لا تقوم إلا في بلادها

وقد قضى محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الأطوار أربعين سنة من عمره ، قضاه على ما وصفنا في حياة هادئة ، وعيشة مطمئنة ، لا تحده نفسه فيها بشيء مما حصل منه بعدها ، ولا تطمح في أميتها وقناعتها إلى أكثر مما وصلت إليه فيها

الطور الرابع : وقد بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة فإذا به ينتقل فجأة من تلك الحياة الهادئة إلى حياة عنيفة يشتد فيها الخصام بينه وبين قومه ، وينقلب ما كان فيه من عدم البالاة بأمرهم حرصاً على مودتهم إلى اندفاع شديد نحو الاهتمام بأمرهم ، وإن أدى هذا إلى انقطاع تلك اللوذة التي كان يحرص عليها ، وكان في أهناً ما يكون من العيشة بها بينهم ؛ وإنما به وهو ذلك الأمل الذي لم يجلس إلى معلم ، ولم يشتغل في تلك الأربعين سنة إلا بما ذكرنا من التجارة ورعى النعم ، ينقلب إلى خطيب لا يدانيه

أعمامه حتى دخل على عمها عمرو بن أسد فخطبها له منه عمه أبو طالب ، فزوجها عمها له ، وصارت بهذا زوجه خمساً وعشرين سنة ، وكان يعمل في مالها ويأكل من نتيجة عمله ، على أنها ما كانت تضن عليه بشيء منه

الطور الثالث : وكان في نفسه صلى الله عليه وسلم ميل إلى عبادة ربه ، وإلى الميزة عن ذلك المجتمع الموبوء برذائل الجاهلية ، فلما رزقه الله بتلك الزوج الكريمة ، وصار له مال يساعده على قضاء حاجة نفسه من عبادة ربه ، كان يقصد كل سنة في شهر رمضان إلى غار حراء ، فيقطع فيه للعبادة ، وكانت قريش تفعل ذلك في جاهليتها ، ولم يتدع منه صلى الله عليه وسلم شيئاً جديداً لم يكن يفعله أحد من قومه

وكان يخلو بهذا الغار فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد ، فتارة عشراً ، وتارة أكثر إلى شهر ، ويأخذ لذلك زاده ، فإذا فرغ رجع إلى زوجته فيتزود لثلاثها

وهذا الطور آخر أطواره قبل النبوة ، فإذا أردنا أن نستخلص منها شيئاً من خصائصه صلى الله عليه وسلم فيها وجدناه رجل عمل يعتمد على نفسه ، ويأخذ في ذلك بما اشتهر به قومه من الحذق في التجارة ، والرحلة فيها إلى الأقطار القريبة والناحية ، لا يشغلهم عنها شغل ، ولا يهتمون بغيرها مما كان يهتم به غيرهم من العرب ، حتى عبرهم بهذا بعض شعرائهم فقال :

ألمى قصياً عن المجد الأساطير ورشوة مثل ما ترشى السفاسير  
وأكلها اللحم بحثاً لا خيلط له وقولها رحلت غير أنت غير

وكان في هذه الحياة العملية من أحسن قومه خلقاً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبدم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال ، حتى كان من أفضلهم مروءة ، وأكرمهم خالطة ، وخبرهم جواراً ، وأعظمهم حكمة ، فأحبوه وركنوا إليه ولقبوه الأمين حتى غلب على اسمه هذا اللقب

وكان على علمه بفساد ما عليه قومه من عبادة الأصنام وما إليها بكتفى من هذا الميزة التي أخذ نفسه بها ، ويأخذ بما يأخذ به بعض الناس من الاهتمام بإصلاح نفسه وعدم الاهتمام بإصلاح غيره . وكأنه كان يرضى بذلك الحب الذي يحبوه قومه به أن يفسده بتخطئهم ، ونسفيه ما ألفوه من عبادة أصنامهم ، فضى لا يهيمه

خطيب في فصاحته ، وعالم لا يدانيه عالم في علمه ، ويده كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يدعو به الناس أجمعين ، ويهديهم إلى دين الله الصحيح ، وترك ما دخله من التغيير والتبديل والتحرير ، ويحب على نفسه بهذا عداء الوثنية وزعمائها من قومه ، وعداء المجوسية وزعمائها من الفرس وأكاسرتها ، وعداء النصرانية وزعمائها من الروم وقياصرتها ، وعداء اليهودية وزعمائها من اليهود وأخبارها

فما هذا كله ؟ وما هذا الذي جعل من محمد الأمين بين قومه عدوهم اللدود وخصمهم المنيد ؟ لقد اختلفوا عند بناء الكعبة وهو ابن خمس وثلاثين سنة في الحجر الأسود أبهم يرجعه إلى موضعه من الكعبة ، ثم اتفقوا على أن يحكموا بينهم أول داخل إليهم ، فلما دخل إليهم قالوا : هذا الأمين وضياءه ، هذا محمد ، فبسط رداه ووضع الحجر عليه ، وقال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، وأمرهم برفعه حتى انتهوا إلى موضعه ، فأخذوه ووضعوه فيه

فما هذا الذي جعله بعد هذا يمرض نفسه لأن يتهموه بكل شنيعة من القول ؟ فيقولوا عنه مرة إنه ساحر ، ومرة إنه شاعر ، ومرة إنه كاهن ، ومرة إنه مجنون

إنه لم يفعل هذا من نفسه ، ولو أنه خلى ونفسه لضى في تلك الحياة المأذنة إلى نهاية أمره ، وإنما كان يعمل في هذه الحياة الجديدة بأمر طراً عليه ، وغير من نفسه ما شئت عليه في تلك الأربعين سنة

فبينما هو في غار حراء قائم في بعض الأيام على الجبل إذ ظهر له شخص وقال : أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله إلى هذه الأمة ، ثم قال له : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، لأنه كان أمياً كما سبق ، فأخذه فنقطه بالخط الذي كان ينم عليه حتى بلغ منه الجهد ، ثم أرسله ، فقال : اقرأ ، فقال : ما أنا بقارىء ، فأخذه فنقطه ثانية ثم أرسله فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، فأخذه فنقطه الثالثة ثم أرسله فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق » ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم »

فرجع بها صلى الله عليه وسلم رجف فؤاده مما ألم به من

الروح ، فدخل على خديجة زوجته فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه روعه ، فأخبرها الخبر ، وقال لها : لقد خشيت على نفسي ، فقالت له : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فلا يسلط الله عليك الشياطين أو الأوهام ، ولا مرء أن الله اختارك لهداية قومك

— ثم ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان امرءاً قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فكان يكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره خبر ما رأى ، فقال له : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، ثم قال : يا ليتني فيها جذعاً إذ يخرجك قومك ، فقال : أومخرجني هم ؟ قال : لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وقد حقق الله نبوءة ورقة بهذه الهجرة التي نحي ذكرها كل سنة

— وهذا هو حكم التاريخ وعلم النفس في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا يا إلهي بعض جهادي في نصر دينك أشكو إليك ما ألقاه بسببه من أذى ، وهو لدي في هذه الدنيا إذا التذ قوم بمتاعها ، وأنت حسي ونعم الوكيل

عبد المتعال الصعيري

## آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف مبرزة الوطاني

الطبعة الجديدة

ترجمتها : أصغر مسن الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

ومنها ١٥ قرناً



دراسات أدبية

## مقتل الحسين

وأثره في الأدب العربي

للأستاذ ضياء الدين الدخيلي

هذا المحرم قد وافتك صارخة مما استحلوا به أيامه المحرم  
يملأن سمعك من أصوات ناعية في مسمع الدهر من إغوالها صمم  
تنسى إليك دماء غاب ناصرها حتى أريقت ولم يرفع لكم علم  
جاء المحرم فالساجد المراقبة مجللة بالسواد ، والوجوه تعلوها  
الكآبة ، هنا وهناك عويل ونواح يكرران القلب ، الصدور موجمة  
بضرب الأيدي ، والنون مكومة بالدم بالسلاسل النحاسية ،  
والنفوس فزعة جزعة قد تملكها الملح إذ خلبها الألسن الدافقة  
التي لم تدع أسلوباً تهويل فاجعة كربلاء إلا ركبت سييله الأوعر  
والأشد إيلاماً والأنكى لدعة ولوعة ، مواكب تجلبت السرايل  
المضاعفة من الحزن خنقها الأسى فلا تأسى ، ورؤوس تشج  
بحد السيوف ، ودماء تراق على مذبح فاجعة كربلاء ، فسا قيمة  
المبرات والزفرات والدموع المنصبة على أقدام هذه المأساة المؤلمة  
التي لم يبع التاريخ أنجع منها ولا أكثر جلبة من تبعاتها . ففي إيران  
والعراق والهند وسورية والحجاز وهنا وهناك مآتم ومناحات  
تعقد لتسكب المبرات وتنفث الزفرات ، فكان نفس الشرق الحاملة  
بالأشباح والرؤى ، المنعمة بالطموح وأحلام النبى ، المتبرمة بالحياة  
وأحكامها التي تزرع بأعبائها - وجدت في هذه المأساة مجالاً  
واسعاً لإعلان عويلها والتنفيس عن كربها

وإن شعبة العلويين التي لم تهيم على مقدرات البلاد ولم  
تسيطر على أزمة الحكم وتقبض على السلطة الزمنية إلا قليلاً ،  
بقيت طوال الدهر ناقمة ساخطة على الدهر المازل ، ساخرة من  
أقداره الملوثة بالمازل ، فشاعرها ( السيد جعفر الحلي صاحب  
ديوان سحر بابل وسجع البابل ) يقول :

وجه الصباح على ليل مظلم وريبع أبهى على محرم  
بي قرحة لو أنها يللم نسفت جوانبه وساخ يللم<sup>(١)</sup>

(١) جبل

ماخلت أن الدهر من عادته تروى الكلاب به ويطا الضيف  
ويقدم الأموى وهو مؤخر ويؤخر العلوى وهو مقدم  
مثل ابن فاطمة بيت مشرداً ويزيد في قنانه متنم  
ويضيق الدنيا على ابن محمد حتى تقاذفه الفضاء الأعظم  
خرج الحسين من المدينة خائفاً تخرج موسى خائفاً يتكلم  
وقد صبح المحرم أدب الشيعة بصيغة سوداء قاتمة بالكآبة ،  
حجراً ملطخة بدم الشهداء ، كالحلة تعلوها إشارات التكدر والازعاج  
من الوضع الراهن الواقى ، وهذا الأدب الباكي تسوده الأحلام  
بفردوس مفقود أسسه العدالة ، يرجع فيه حق الحكم إلى أهله  
وذويه الشرعيين ، لذلك فهو أبدأ يتدب ( صاحب الزمان ) الذى  
غاب عن الأنظار ليعود فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملأت  
جوراً وعسفاً . وسوف يعم في عهده الأمان ويسود السلام المجتمع  
حتى ترمى الشاة مع الدثب ، فاسمع السيد حيدر الحلي يتدب  
الإمام الغائب :

مات التصبر في انتقلا رك أبها المحيى الشريعة  
بك تستنيت وقلبها لك عن جوى يشكو صدوعه  
ماذا يهيجك إن صبرت لوقمة الطمن الفجيمه  
حيث الحسين بكربلاء خيل المدى طلحت ضلوعه  
والشيعة تمتد أن حكم اليوم مضر ج بدماء الأبرياء ، ملطخ  
يقع سوداء من قضاء الجور والشبهات . وفي الحق أن الأدب  
الشيعى خير مثال لأدب التشاؤم الساخط على الحياة الحالم بالمثل  
الأعلى . ولا أريد أن أصدر حكماً عاماً شاملاً على أدباء الشيعة  
وأكسوم بهذه الصبغة الحالكه ، فنقرأ غزليات السيد محمد  
السعيد الجبوري الشاعر النجفي ( طبع ديوانه في بيروت ) وأسام  
شرح الطرف بين موشحاته الرقيقة وروضياته وخرجاته وجددها  
ضاحكة متلهة طروباً ، ومن خير ما يمثل الحياة المرحية البهيجة  
( وهساناً أن تحدث إلى قراء الرسالة الكرام عن أدب هذا  
الشاعر العبقري ) . إنما أعنى هذا القبيل الذى أترع أدبه بالمويل  
والنباحه ، وعلى رأس هذا الرعيل السيد حيدر الحلي ، وهاشم  
الكسبي ، وصالح الكوازي ، وصالح القزويني العلوي ، وإبراهيم  
الطباطبائي ، وجعفر الحلي ، ورضا الهندى ، وكاظم الأزدى  
وعبدالمطلب الحلي ، وعبدالحسين الأعسم ، وهؤلاء شعراء مطبوعون

لهم دواوين مفعمة بالأدب المشيع قوة وحيوية ؛ وقد أقاموا على شواطئ الفرات في غضون عصر النهضة دولة للشعر يدعمها خصص القرائح ورسالة الأسانيب ومثانة السبك ودقة المعنى وسمو الخيال . وإنه من العفوق أن تتناقل عن دراسة أدبهم الأقلام العربية الزهية بمصر ، وإنك إذا تصفحت ما خلفوه من شعر محكم الأثر ، قوى البيان ، نغم التعابير ، جزل اللفاظ ، وجدته طائفاً بالتهريج والتنديد بالأمويين وما استباحوه من الدماء المحرمة في كربلاء ، وما انتهكوه من حرمة ذرية الرسول ، فذرى المحرم قد صبح أدبهم بصنفة خاصة لا تجد نظيرها في كثير من الآداب العالمية ، وقد مزجوا بشعرهم الوجداني قصصاً ووقائع تاريخية فاستحدثوا لوناً يختلف عما ألفناه في أقسام الأدب العربي من قبل . وقد قرأت للأستاذ الزيات في كتابه ( في أصول الأدب ) كلمته الآتية ، قال عند استعراضه العوامل المؤثرة في الأدب : « وتأثير الأديان في الأدب أمر ثابت بأدنة الطبع والسمع فإنها تخلق موسوعات جديدة لمصنفات جديدة ، وتؤثر في الأخلاق والمواظف تأثيراً يردد صدى في مناحي الأدب ... فإن في كل دين من الأديان الهاوية قسماً وجدانياً اجتهادياً يختلف أبنؤه في فهمه احتلامهم في الطبائع والنزاع والغاية ، فأشعار الخوارج مثلاً تنضح بالدماء وتطفح بالحماصة لتمصهم وتصلبهم وجملهم غاية الإسلام جهاد مخالفهم في الرأي ، وأشعار الشيعة تفيض بإجلال زوج البتول وصهر الرسول وتمجيد ذكرى بنيه وتمثيل آلامهم ورناء من قتل من أعلامهم »

وما لو ح إليه الأستاذ الزيات حقيقة راهنة تمضدها قواعد علم النفس وأصول التربية الحديثة وقواميس الاجتماع ويدعمها الوجدان بأنفس برهان ؛ فما هي دي المجاميع المشحونة بالقصائد المعصاة التي تنفجر حزناً لمقتل سيدنا الحسين عليه السلام ، ومن أحدثها ( لواعج الأشجان ) تأليف العلامة السيد محسن العامل ، و ( مثير الأحزان ) وحسبك بأسمائها مفرقاً بما انطوت عليه صدورنا من مآسٍ

هذا عدا الدواوين المسودة بنى شهداء هذه الورقة ، وقد كان حامل لواء هذه المرايا هو الشريف الرضى ( موضوع دراسة الدكتور زكي المبارك ضيف العراق الكريم فقد أخذ اليوم في

تحليل أدبه الخالد فكانت أبحاثاً متممة أصبحت محور الحديث والمناقشة في الأوساط الأدبية هنا ) ، وقد كان الشريف الرضى مفاجئاً كلهم الفؤاد فتجد شعره في رثاء الحسين طائفاً بالأنين والحنين ، قال في قصيدة مقصورة :

وضيوف لعلنا ققرة نزلوا فيها على غير قري  
لم يذوقوا الماء حتى اجتمعوا بحيدا السيف على ورد الردي  
ووجوه كالصايح فن قر غاب ونجم قد هوى -  
غيرتهن الليالي وغدا جازر الحكم عليهن البلي  
يا رسول الله لو عاينتهم وهم ما بين قتال وسبا  
من رميض يمنع الظل ومن عاطش يسقى أنابيب القنا  
ومسوق طائر يسي به خلف محمول على غيوطا  
جزروا جزر الأضاحي نسله ثم ساقوا أهله سوق الإما  
واقتيلوا قوتض الدهر به عمود الدين وأعلام الهدى  
غسلوه بدم الطمرن وما كفنوه غير بوغاه<sup>(١)</sup> الثرى  
وشاعر علوي آخر لا يقل في جودة شعره وروعة شوارده

عن أبي الطيب المتنبي ، ولربما يجوزه في حماسه الملهب وطموحه الثوب التحف للانتقام في المستقبل الغامض ، ذلك هو السيد حيدر الحلي ولد عام ١٢٤٦ وتوفي سنة ١٣٠٤ ، وبلده الحلة مدينة كبيرة تقع على أحد فروع نهر الفرات قرب موقع بابل التاريخية ، وقد نبغ فيها عدد غفير من الشعراء النابغين : وإن شاعرنا هذا يمتاز بفخامة التعابير وروعة الأحلام ودقة الوصف والتصوير والمقدرة على التهويل وإلباس الحوادث جلابب الضخامة والحماصة ونحت هياكل الأشباح والأخيلة من مادة الواقع ولكن بتكبير وتنظيم ، وله براعة متميزة في استنفاض الراقد وتحذير الغافل عن الخطر الداهم ولو كان موهوماً ، وقد عاش مفاجئاً بواقعة كربلاء التي تركت في نفسه أثراً عميقاً فظهر هذا الانفعال النفساني جلياً في مرثياته . فاسمعه بنوح على شهيد الإباء ، وديوانه كما سلف نواح وتهديد وزجيرة ووعيد :

وادعت حولي الشجا ذات طوق مات منها على النياح المهجوع  
شاطرتني بزعمها الداء حزناً حين أنت وقلبي المنجوع

(١) البوغاه : التربة الرخوة كالشاة دريرة ، وتأتي كمن من دون تصنيف متعددة لواحد فإذا ضغفت عدت إلى اثنين كسرب

يا طروب المشي خلفك عنى لم يهجنى صباية وولوع  
لم يرعى نوى الخليط ولكن

من جوى الطف<sup>(١)</sup> راعني ما يروع  
أى يوم بشفرة البني فيه عاد أنف الاسلام وهو جديع  
أينما طارت النفوس شعاعا فطير الردى عليها وقوع  
قد توامت بالنصر فيه رجال في حشا الموت من لقاهاصدوع  
سكنت منهم النفوس جسوما هي بأسا حفاظ ودروع  
وقوله يمرض بالهاشيين وتناقلهم عن نصرته :

لتلو لوى الجيد ناكسة الطرب

فهاشمها في الطف مهشومة الأنف  
ويا مضر الحمراء لا تنشري اللوا  
فان لوائك اليوم أجدر باللف  
ألسم إذا من ساقها الحرب شمرت  
وعن نابها قد قلست شفة الخنف  
سجتم إليها ذيل كل مفاضة<sup>(٢)</sup>

ترد الطبا بالتم والسمر بالقصف  
فكيف رضيت من حرارة وترها  
بماء الطل<sup>(٣)</sup> منكم ظبا القوم تستشنى  
ثم يتجه إلى الامام على بن أبي طالب ويخطبه مخاطبة الأحياء  
على الأساليب الشعرية المتبعة  
أبا حسن أباؤك اليوم حلفت

بقادمة الأسياف عن خطة الخسف  
لقد حشدت حشد المطاش على الردى  
عطاش وما بليت حشا بسوي القف  
فتلك على الرمضاء صرعى جومهم  
ونسوتهم هاتيك أسرى على المعج<sup>(٤)</sup>  
وهل زحف هذا اليوم أبقى لحيمهم

عميد وغي يستنهض الحى للزحف

\*\*\*

(١) الطف : المكان الذى قتل به الحسين (٢) درع واسعة

(٣) الرقب وهى من مئذنت قطرب . قال عبد الرحمن السهوى :

وولد انظية يدعى بالطلا والراح ان تطع تسمى بالطلا

وجمع أمساك الأناة فالطلي تمودها أزمة الأقدار

(٤) المعج الأبل الهزال

وله من أخرى :

عثر الدهر وبرجو أن يقالا تربت كفك من راج محالا  
لا أقالتي المقادير إذا كنت ممن لك يادهر أقالا  
وتسمع هنا لكبرياء نفس الشاعر قمعة وجلجلة ، وأى  
تعاظم يطاول بالراء الدهر ويجمله عرضة لسخط الشاعر  
وغضبه بحيث يوقف موقف الدل والاستكاة حتى يطلب إقائته  
من عثرته

أزال المفو تبي وعلى أهل حوض الله حرمت الزلالا  
المطاعين إذا شبت وغي والمطاعم إذا هبت شمالا  
إن دعوا خفوا إلى داعى الرغى وإذا نادى احتبى كانوا ثقالا  
وقفوا والموت فى قارعة لو بها أرسى شهان لزالا  
وقوله حرمت الزلال يلوح إلى قتل الحسين وأصحابه عطاشا  
وذلك من مآسى الواقعة التى أخذت مجالا لمناحة الشمرء  
وقوله من أخرى :

وخائضين غمار الموت طائفة أمواجه البيض بالهامات تلتطم  
مشوا إلى الحرب مشى الضاريات لها

فصارعوا الموت فيها والقنا أجم  
ولا غضاضة يوم الطف إن قتلا صبرا بهيجاء لم تثبت لها قدم  
فالرب تعلم إن ماتوا بها فلقدم ماتت بها منهم الأسياف لا الههم  
أبكمهم لموادى الخيل إن ركبت رؤوسها لم يكفكف عزها البجم  
وللسيوف إذا الموت الزوام غدا فى حدها هو والأرواح يختصم  
تنفى إليك دماء غلب فاصرها حتى أريقتم ولم يرفع لكم علم  
مسفوحة لم تحب عند استغاثتها إلا بأدمع ثكلى شفها الألم  
حنن وبين يديها فتية شريت من نحرها نصب عيها الطبا الخندم  
موسدين على الرمضاء تنظرم

حرى القلوب على ورد الردى ازدحموا  
سقباً لثاوين لم تبلل مضاجعهم إلا الدماء وإلا الأدمع السجم  
أفانهم صبرهم تحت الطبا كرمأ حتى مضوا ورداهم ملؤه كرم

\*\*\*

وقد افتتح هذه القصيدة بحماسة تذكر بفخر المنبى وتهديده  
ووعده ووعيده قال :

إن لم أقف حيث جيش الموت بردحم

فلا سمت بي في طرق العلى قدم  
لا بد أن أندوى بالقنا فلقد صبرت حتى فؤادى كله ألم  
عندى من الدزم سر لأبوح به حتى تبوح به الهندية الخدم  
لأرضعتى الملا بناصفودرتها إن هكذا ظل رعى وهو منظم  
ولربما أكثرنا من الاستشهاد بالمقطوعات الرائية التي هي من  
هذا الفرع الفرض النصير بشعرته وإياه الجهم الكالج بمؤداه  
البكي بمغزاه ومعناه ، وتظن أن في هذا النوع طرافة وجدة عند  
قراء ( الرسالة ) الكرام

وبعد فأنك واجد هذه الوقعة قد أثرت أثرها في الأدب  
وأنشأت جانباً خاصاً له بميزانه ومزايده تربطه صلة قوية العرى  
عككة الخلفات ، وليس هذا القسم من الشعر ثمرة الأيام الأخيرة ،  
كلا فانه يمتد إلى عهد دجيل الخزاعي وتأنيته التي مطلعها :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات  
والحسن بن الضحاك الذي يقول :

ومما شجا قلبي وكف فكف عبرتي محارم من آل النبي استجلت  
وجعفر بن عفاف الشاعر العباسي الذي يقول من قصيدة :

ليك على الاسلام من كان باكياً فقد ضيبت أحكامه واستجلت  
غداة حسين للرمح درية وقد نهكت منه السيوف وعلت  
وغودر في الصحراء لحماً مبدداً عليه عناق الطير بانت وظلت  
وسليمان بن قنة المدوي مولى بني تميم وذلك حين مر بكر بلا  
بعد قتل الحسين بثلاث ، فنظر إلى مصارعهم وانكأ على فرس له  
عربية وأنشأ يقول ، وقيل إنها لأبي الرجيج الخزاعي ، وقال ابن  
الأنبار إنها للتبعي تميم مرة قال وكان منقطعاً لبنى هاشم :

مهرت على آيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلت  
ألم تر أن الشمس أضحت مريضة لفقد حسين والبلاد انشعرت  
وكانوا غيافاً ثم أنصخوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت  
وإن قتل الطف من آل هاشم أذل رقاب المسلمين فذلت  
وقد أعوت تبكي الهاء لفقده وأنجمنا ناحت عليه وصلت  
وعقبة بن عمرو العبسي وهو أول من رثى الحسين في حكاة سبط  
ابن الجوزي عن السدي :

مهرت على قبر الحسين بكر بلا ففاض عليه من دموعي غزيرها  
وما زلت أبكيه وأرثى لشجوه ويسعد عيني دمعها وزفيرها  
وأخر من عبد القيس قتل أخوه مع الحسين :

يا فرو قوى فاندبى خير البرية في القبور  
ذاك الحسين مع التأوه والتنجع والزفير  
والفضل بن عباس :

أعني إن لا تبكيا لمصيتي فكل عيون الناس على أصبر -  
وبديع الزمان الهمداني :

يا لمة ضرب الزمان على معرستها خيامه  
لله درك من كعزها في رمضة عادت ثغامه  
لرزية قامت بها للدين أشرط القيامة  
لمصرج بدم النبوة ضارب بيد الأمامه  
متنم بظبا السيوف مجرع فيها حمامه  
والسيد الجعري :

أمر على جدت الحسين وقل لأعظمه الزكية  
يا أعظما لا زلت من وطفاء ساكبة روية

وبعد فهذه صفحات من أدبنا القوي طوى المارك المفرقة  
بين أمة الضاد التي أثار دخان هذا الشعر - مادعنا من خطر  
الترب ، فنحن ندرسها للتاريخ لا أكثر ، فقد دثر الهاشميون  
والأمويون وقبرت معهم منازلهم حول الملك  
اصراق - الحب الأنرف ضياء الدربة الرضبي

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

احمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ فرسا

مقالة تذكارية

## ابن سينا

بناسبة انقضاء ثمانمائة سنة على وفاته

للدكتور زكي علي

في سنة ١٩٣٢ خطر لكاتب هذه السطور بينما كان يقوم ببعض الأبحاث في معهد تاريخ الطب بقينا أن يُحيى ذكرى طبيب الإسلام الأشهر «ابن سينا» في الوقت المناسب بنشر بعض الرسائل العلمية عن حياته في المجلات الطبية وغيرها

وجرى وقتئذ بيني وبين الأستاذ ما كس نويرجر - وهو من أشهر علماء تاريخ الطب اليوم - حديث في هذا الشأن لفت نظري في سياقه إلى رسالة لأحد الأطباء من الأتراك الكاليين حاول فيها أن ينسب ابن سينا إلى المنصر التركي تمسكاً مع نعمة الجنس التي تفلقت في تركيا الكالية وشوّهت في كثير من الأحيان ونجه الحقائق التاريخية تبريراً لفاية قومية

وقد نشرت «الرسالة» في أحد أعدادها في الصيف الماضي نبأ مؤداه أن جامعة استانبول احتفلت بإحياء ذكرى «ابن سينا» أنبغ طبيب في الإسلام. ولما كان ابن سينا فارسي الأصل فقد أراد الكاليون بعملهم هذا تجريده من فارسيته وإقامة الدعوى الباطلة على أنه ينتمي إلى الجنس التركي، وبذلك تكون عبقريته النادرة من مفاخر القومية التركية؛ وفي هذا افتيات على التاريخ والعلم لا تبرره المصيبة الجنسية

\*\*\*

يلقب ابن سينا في الشرق «بالشيخ الرئيس» وفي الغرب «بأمير الأطباء» حيث عرفته أوروبا باسم Avicenna واسمه الكامل أبو علي الحسين بن عبد الله بن إلهي بن علي بن سينا، وقد أجمع المؤرخون على اعتبار شخصيته إحدى الظواهر الفكرية العجيبة التي سجلها تاريخ الطب والفلسفة كما أنه من أعظم العلماء الذين أنجبهم الشرق إذ جمع في نفسه شخصية الطبيب والفيلسوف والشاعر والفلكي والسياسي والعالم بطبقات الأرض، وبلغ بذلك

١٠٣٥

ذروة النبوغ وقة الشهرة بين علماء الإسلام شرقاً وغرباً؛ وحسبك ما ذكره عنه الطبيب المؤرخ الأمريكي كامستون إذ قال: «يتميز ابن سينا بمعجزة من معجزات العقل الراجح ويجوز أنه لم يسبقه ولم يظهر بعده من العلماء من ينافيه في حدة الذكاء ومروعة نبوغ العقل بالنسبة للمعمر مع غمهم ونشاط لا يعرف الملل وهمة شاسعة الحدود»

ولد ابن سينا بقرية تسمى «أفشنة» بالقرب من «حرمين» من أعمال بخارى وذلك سنة ٩٨٠ م (٣٧٠ هـ) وكان أبوه من بلخ ثم انتقل إلى مملكة بخارى في زمن نوح بن منصور من الدولة السامانية وكانت يومئذ خاصة بالعلماء فوجهه أبوه إلى من حفظه القرآن وعلوم الأدب

وظهرت بوادر نبوغ ابن سينا وعبقريته منذ الطفولة فابلغ الماشرة من عمره حتى حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ودرس النحو والأدب والفقه، ثم تعمق الفتي في دراسة شتى العلوم بحماسة وجد بالنين، فأتى على منطق أرسطو وفلسفته وأكب على تحصيل الهندسة والطبيعة والفلك فأتقن ذلك كله ولم يتجاوز السادسة عشرة. وكان من نمومة أغفاره يحس من نفسه ميلاً خاصاً إلى دراسة الطب فأقبل على تعلمه بسرعة غريبة إذ أكمل معارفه فيه واشتهر أمره كطبيب يارع ونطاسي ماهر بعد أن جاوز عمره الثامنة عشرة بقليل. وصادف إذ ذاك أن مرض السلطان نوح بن منصور حاكم بخارى لذلك العهد ورأى أطباؤه أن يستشيروا ابن سينا في أمر معالجته، فاستدعى صاحب الترجمة فأشار بمعالج حاسم كان فيه شفاء السلطان فأحسن مكافأته وسمح له بالإطلاع على ثقات مكتبته الخاصة التي حوت كثيراً من الكتب العلمية النادرة فوعى ابن سينا زبدة ما فيها وعكف على الدرس والبحث سنوات ما كان ينوق فيها طعم النوم إلا غراماً، ومما قاله عن نفسه: «لازمت العلم وكنت كلما أحار في مسألة تردت إلى الجامع وصليت وابتليت إلى مبدع الكل حتى يفتح لي التفات منه ويتيسر التفسير. وكنت أشتغل ليلاً في داري بالكتابة والقراءة فإن غلبني النوم أو شمرت بضعف عدلت إلى شرب قدح من الشراب ريثما تعود إلى قوتي ثم أرجع إلى القراءة؛ فإن غلبني النوم حلت بالسائل التي كنت أعالج حلها حتى إن كثيراً منها انضح لي بالنام»

وأخذ ابن سينا في التأليف وهو في الحادية والعشرين من عمره فصنف موسوعة علمية ضمها كثيراً من العلوم الطبيعية وكتب في الفلسفة وما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) عدة رسائل وفي غضون ذلك ألعد صار ابن سينا مضرب المثل في البراعة الطبية وذاع صيته لما أوتيته من النجاح في علاج المرضى الذين كانوا يفتدون إليه من فجاج الأرض ، وله في ذلك كثير من النوادر المعجبية التي تنافها الرواة والمؤلفون<sup>(١)</sup>

ثم لما بلغ صاحب الترجمة الثانية والعشرين من عمره نكب بوفاته والده فانتابته بعد ذلك الشدائد ، وزاد في محنته وأهواله أن اضمحلت الدولة السامانية وكانوا حماة الدين تعهدوه بالرعاية والتشجيع ، فخرج من مملكة بخاري قادماً « كركانج » عاصمة « خوارزم » التي كان يحكمها الأمير علي بن مأمون ، غير أن الضيق لازمه فتنقل في البلاد شريداً ثم أتى عصا الترحال في « جرجان » حيث كان يقصد أميرها « قابوس » الذي اشتهر بتأييده للعلاء فصادى وصوله سقوط قابوس عن عرشه وحبيه في بفض القلاع وما لبث أن مات ، فتألم ابن سينا لذلك ألماً شديداً وأنشأ قصيدة قال فيها :

لا عظمت فليس مصر واسمى لما غلامني عدمت المشتري  
ثم هام على وجهه في الأفق إلى أن وصل أخيراً إلى « حمدان » ودخل في خدمة أميرها شمس الدولة وعالجه علاجاً ناجحاً إذ كان يشكو مرضاً شديداً بالعدة ، فأحسن الأمير صلته وقلده الوزارة ولم تمنعه أعمال الدولة ومهام المنصب عن مواصلة نشاطه الطبي وأبحاثه العلمية ، فألف في ذلك الوقت الجزء الأول من كتابه الأشهر « القانون في الطب » ، وكان يقضي النهار في مباشرة شئون الدولة ويحيي الليل بالمحاضرة والتدريس وإملاء الذكريات على تلاميذه ، فإذا انتهى من محاضراته استبقى مستمعيه وهبى مجلس الفناء والأنس والموسيقى ترويحاً للنفوس من عناء الدرس على أن هذه الحياة الحافلة بالعلم والعمل والنشاط ما لبثت أن عضفت بها روح الفتن السياسية ودس أعداء صاحب الترجمة له وآتهم بأن له صلة سياسية وثيقة بأمير أصفهان وسجن في إحدى

(١) ذكرنا شيئاً من ذلك في رسالتنا « الطب العربي وتأثيره في مدينة أوروبا » طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٣١

القلاع وهناك لازم التأليف . ثم إنه أفلح أخيراً في الفرار من سجنه بعد أن تنكر في زي الصوفية وقصد أصفهان حيث استقبله أميرها بكل أنواع الحفاوة والإكرام وصار موضع إكبار الجميع ومحبة السلطان في كثير من غزواته إذ كان طبيبه الخاص ووزيراً للدولة وعكف على إنجاز مؤلفاته المديدة في مختلف العلوم وفي مقدمتها كتابه « القانون في الطب » الذي أذاع اسمه وخلد شهرته في الشرق والغرب مدى ستة قرون ، ودون كتبه في الفلسفة والفلك وعلم النفس وفقه اللغة والعلوم الطبيعية والكيمياء وغيرها ، ولم ينقطع برغم هذا كله عن ممارسة مهنة الطب التي فاق فيها كل معاصريه وأوصله نبوغه فيها إلى مكانة ليس وراءها غاية

وقد أنهكت الجهود الجبارة والعمل الشديد المتواصل قواه فأت ولم يتجاوز عمره السابعة والخمسين سنة ١٠٣٧ م ويتنازع ابن سينا بفزارة مادته الأصلية في التأليف ، وتنوع العلوم والفنون التي ترك فيها آثاراً قيمة ، وشخامة كثير من كتبه النفيسة التي كانت بمثابة دوائر معارف شاملة ولا جدال في أن كتابه « القانون في الطب » — وهو أهم مؤلفاته ، وأضخمها إذ يحتوي على نحو مليون كلمة — الفضل الأكبر في ذبوع تماليم ابن سينا وآرائه الطبية في كل الأقطار ، ثم في بقاء تأثيره نافذاً متسلطاً على مصير الطب في الشرق والغرب مدى عدة قرون . وقد نوه الطبيب المؤرخ الإيطالي كاستيليوني في كتابه « تاريخ الطب » المطبوع سنة ١٩٣١ بأن تميز « قانون ابن سينا » على كل ما سواه من كتب الطب في المصور الوسطى راجع إلى دقة ابن سينا في الشرح والتحليل بطريقة تهذيبية تعليمية بارعة ، وإلى إتقان تبويبه وتقسيمه وترتيب المواضيع الطبية التي عالجهما بحث كفى الأطباء في ذلك — المصر مؤونة البحث فيما عداها

وقد دون ابن سينا في « قانونه » كل علوم الطب إلى زمنه ، وتقهر زائد عليها آراءه وملاحظاته ومشاهداته الأكلينيكية ، ويقع في خمسة كتب أساسية . وبقي هذا الكتاب يدرس في جامعات أوروبا زهاء ستة قرون ، واستمر المرجع الأساسي في تدريس الطب بجامعة مونبلييه ولوفان حتى ختام القرن السابع عشر .



وتعود غلة بكل حفيضة في السالين فخرها لم يرفع  
وهي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بغير المطلع  
فكانها برق تألق للحمى ثم انطوى فكانه لم يلعب  
وفي المنطق كتاب الإشارة وكتاب الشرقيين ورسالة  
العروس؛ وله في العلوم الطبيعية والرياضية والآداب والسياسة والفقه  
والموسيقى واللغة العربية وعلومها مؤلفات كثيرة بعضها موجود  
في مكاتب أوروبا وبعضها مفقود

وقد ترك ابن سينا وصفاً علمياً صحيحاً لتكوين الجبال، ذكره  
دراير ووتجتون، واعتبره حاريسون الأمريكى مبرراً لتسمية  
ابن سينا «أبا علم طبقات الأرض» (الجيولوجي)

ويضيق بنا المقام هنا عن ذكر آراء ابن سينا الفلسفية ولهذا  
نقتصر على إبراد المهم من مشاهداته واكتشافاته الطبية

امتاز ابن سينا على أبقراط وأرسطو وجالينوس بدقته في  
مناقشة الحالات المرضية ومهارته في فن تشخيص الأمراض  
(Semilogie) ومبحث أسباب المرض (aetiologie) وهو أول  
من وصف مرض التهاب السحايا «السرسام الحار» وصفاً  
صحيحاً وميزه عن الأمراض الحادة الصحوية بالهذيان، وكان ذلك  
يلتبس على أطباء اليونان؛ كما أنه أتقن وصف سير هذا المرض  
والإنذار فيه. ومما يدل على دقة ملاحظاته الاكلينيكية ذكره  
أن التهاب البلورا «ذات الجنب» والتهاب الرئة «ذات الرئة»  
قد تنتج عنهما أعراض سرسامية بهيئة مضاعفات، وأن التهاب  
السحايا في تلك الحالات يعتبر نذيراً سيئاً إذ تعقبه الوفاة عادة.

وأجاد ابن سينا أيضاً في شرح أمراض الجهاز التنفسي،  
وقال بضرورة التمييز عن تشخيص ذات الجنب بين التهاب البلورا  
الحقيقي، وبين التهاب البسيط للمضلات بين الضلوع وبين  
التهاب النصف الصدري (الحيْزوم) وخراج السطح الأعلى  
للكبد.

وأقن ابن سينا وصف الأمراض العصبية، وبوجه خاص  
الاشكال المختلفة للشلل والفلج النصفي وشلل الوجه (القوة)  
واهتدى إلى التمييز بين نوعي القوة: المركزي والموضعي وشرح  
بأسباب التشخيص التمييزي بينهما

وترجم «القانون» إلى اللاتينية في طليطلة في القرن الثاني عشر  
نقله جيرارد دي كريبونا ثم ظهرت له بعد ذلك طبقات لاتينية  
أخرى تعد بالمشرات. ونشرت منه طبعة عربية في روما سنة  
١٥٩٣، وفي بولاق بمصر سنة ١٨٧٧، وظهرت له في أوروبا  
عدة شروح، كما ترجمت أجزاء منه إلى الفرنسية والألمانية  
والإنجليزية وغيرها من لغات أوروبا، وترجم أيضاً إلى التركية  
والفارسية<sup>(١)</sup>

وقد أحصى العلامة الألماني ومنفرد من مؤلفات ابن سينا  
مائة وخمسة في علوم الطب والفلسفة والدين والفلك واللغة والأدب  
والموسيقى والهندسة والمنطق والعلوم الطبيعية وغيرها، ونكتفي  
هنا بذكر أسماء بعضها: فن كتبه التي نقلت إلى اللاتينية وغيرها  
من لغات أوروبا، بعد «القانون» كتاب «قلب الانسان»  
و«الأرجوزة في الطب» و«الشراب» و«مختصر الحيوان»  
و«الحجر الفلسفي» و«السما والمالم» و«النفس» و«ما بعد  
الطبيعة» و«الطبيعات» و«الكيمياء» و«المنطق»  
و«الحدود» و«التعريفات» و«الفلسفة الأولى»

ثم كتاب «الشفاء» في الفلسفة وترجم إلى اللاتينية بعنوان  
Liber Sufficientis ولا يزال الأصل العربي موجوداً. وله في  
الفلسفة أيضاً كتاب «التجاة» و«الإشارات» ورسائل في  
الإيضاح والمساائل الشريفة، والمباحثات، والجواهر التي لا يتحرك،  
وتقسيم العلوم الفلسفية، وحد الجسم، وشرح كتاب النفس  
لأرسطو وما بعد الطبيعة، وكل هذه لا تزال باقية

ومن كتبه في الفقه والتوحيد الإلهيات والجائنة الإلهية  
ثم له القصيدة العينية الشهيرة في النفس التي مطلعها:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتغنح  
وفيها يقول:

إن كان أرسلها الإله لحكمة

طويت عن الفطن اللبيب الأروع

فهبوطها إن كان ضربة لأزب لتكون سامعة بما لم تسمع

(١) معنى بعض علماء أوروبا في السنوات الأخيرة بالتسقي في دراسة  
مؤلفات ابن سينا الطبية والفلسفية وشرها حينذا أن تعني الحكومة المصرية  
بإعادة طبع كتاب «القانون» طبعة حديثة لإحياء لترات المظاء من السلف

ومما أشار إليه ابن سينا أن المخ والمغزاة خلافاً لرأي القدماء  
قد تكون مفرراً للأورام

وكان يعالج تشوهات السلسلة الفقرية بالرد العنيف وهي طريقة  
أعاد إدخالها في العلاج الجراح الفرنسي كالو سنة ١٨٩٦ . ولابن  
سينا طريقة شائقة لطيفة في وصف الأمراض العقلية ، وله الفضل  
في ابتكار كثير من طرق العلاج النفسي

وكان جالينوس يقول بأن السكتة ( ضربة الدم أو النقطة )  
يندر أن تكون مسببة عن البلينورا وهذا خطأ ، يخالفه ابن سينا  
وقال بالعكس ، مستنداً إلى مشاهداته الإكلينيكية ، بأن البلينورا  
من أكثر الأسباب المهيمنة لحدوث السكتة

ومما ذكره ابن سينا ولم يسبقه إليه أحد أن الحصبة أكثر  
ما تكون عدواها في الربيع والخريف وأنها أكثر وقوعاً في  
هذين الفصلين ، كما ذكر أن الأطفال يصابون بها أكثر  
من البالغين

ودرس ابن سينا بدقة أمراض الكبد وطريقة فحصه ووصف  
بمهارة أعراض اليرقان بأنواعه بما يتفق والأوصاف الحديثة ؛  
وشرح عند الكلام على أمراض المعدة ، أعراض ضيق البواب  
والقرحة المعدية وأفاض في شرح أضرار إدمان الكحول على  
الكبد ، وعلل السبب الفيزيولوجي لتلايف الأمعاء . وتكلم  
ابن سينا طويلاً عن استئصال عنق الرحم وعن أورام الرحم وسقوطه  
وصلابته وعن خطر سرطان عنق الرحم

ووصف طريقة علاج البواسير بالشق ، وأشار عند الكلام  
على الدُّبيلة ( تجمع الصديد في جوف البلورا أو الإمبيما ) بعلاجها  
بالشق عليها لتفريغ الصديد ، وذكر طريقة رد خلع الكتف  
بالضغط المباشر . وأما في علم الديدان فهو أول من وصف الدودة  
المعروفة باسم القزنت أو البسرق المدينى Vera medinensis

ثم إن أوصاف ابن سينا في التشريح أكمل في بعض الأحيان  
من أوصاف جالينوس . وذكر بُورْتال أن ابن سينا كان ذا معرفة  
تامة بتشريح القزحية وإنسان الدين والقناة السمعية وأنه أول  
من اكتشف اندغام عضلات العين

وقد أدخل ابن سينا في مادة الأدوية عدداً كبيراً من العقاقير  
الطبية التي لم تكن مستعملة من قبل

« جيب »

نكي على .

## لطلبة السنة التوجيهية

### تطلب الكتب الآتية من ملزم نشرها

### مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

### الذخيرة

في شرح محفوظات النصوص الأدبية  
لمحمد أحمد جاد النول بك ، محمد أبو بكر إبراهيم ، حسن حسين مخلوف

### دروس الرياضة

للقسم الأدبي

للدكتور محمد علي حجاب ، إمامي كنفاني ، محمود حمودة تديبل

### الجبر والتحليل الرياضي

للقسم الرياضي

لمحمد تيم شيمي ، الدكتور صادق بشارة ، مرقى جرحس

### الطبيعة للسنة التوجيهية

للقسم العلمي والرياضي

جعفر محمد العراوى ، حبيب اسكندر ، حسن الجدى .

### الضوء للسنة التوجيهية

للقسم العلمي والرياضي

للدكتور محمود أحمد الشريفي ، عزيز ميلاد فريضة

### الطبيعة التوجيهية

للقسم الرياضي الإضافي

للدكتور محمود أحمد الشريفي ، عزيز ميلاد فريضة

### المطالعة الفرنسية

للقسم العلمي والرياضي

للسير بول الجور

### المطالعة الفرنسية

للقسم الأدبي

للسير بول الجور

### المنجد في الكيمياء

للقسم العلمي والرياضي

لدمر محمد العراوى ، حبيب اسكندر

## العداء والفتنة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

عفا الجاني وقد بلغ التشفى وبعض الغفوة من فرح الثبات<sup>(١)</sup>  
(للتألم)

قد يُعزبك شامت يتشفى باجتلاء الآلام لا تاعرا،  
(للتألم)

## مقدمة القصيدة :

إن العفو لا يكون من المظلوم المجني عليه وحده بل قد يكون أيضاً من الجاني الظالم إذا أقنع نفسه أنه المظلوم، أو إذا أقنع الناس كي يبال عطفهم ومساعدتهم له في ظلمه وفساده . وكثيراً ما يساعد الناس الشرير في شره اعتقاداً منهم أنه هو المظلوم أو . لأن مساعدته في العرصة المظلوم فرصة لراحة ميل كثير من الناس لالتفاف القسوة كما هو الحال في مرض الساذم عند إطلاق هذا المصطلح عليه في المعنى الأعم ؛ وهذا النوع من العفو الذي يعود به الظالم إنما هو من فرح الضيقة ، وهذا الشعور يشبه شعور الشامت الذي يبري النصاب ويحكي فرح الثبات ويظهر الأسف ، وهو إنما يرى كي يرى آلام النصاب أثناء التعرية . وهذه انقسيبة نصب النفس الإنسانية بين عواطف الخير والشر ، وقد تجتمع الأسداد منها في نفس واحدة من غمران وشملت ، ومن فقد الحياة وصنع المئات ، كما نصب عيت شقاء الحروب بين الأمم التي يتحالف بعدها المصوم ويتعادي الأعداء.

## القصيدة :

إذا ما دنا الموت من هالك وأيقن ألا يطول البقاء  
وقد زال ما كان من نشوة ومن شريرة نال عنها الغناء<sup>(٢)</sup>  
ولاح له عيشه مائلاً وقد برز عما جناه الربا<sup>(٣)</sup>  
وأفهم ما كان من حرصه وأبصر ما قد طواه الخفاء  
يرى أسفاً أن عدا أو جنى وأن كان منه الأذى والعداء  
وليس يرى أسفاً لا عتقار دعاه قديماً فلجى الدعاء<sup>(٤)</sup>  
فليس على صمغته أسفاً ولكن على التلّيل من أساء<sup>(٥)</sup>

(١) الثبات : هو الثبات

(٢) نشوة الحياة سكرة غيورها والفترة بكسر التين شاة الشب

الجوى (٣) برز خلع وترع

(٤) أى لا يأسف إذا فقد شره الحياة على فئات اغتفاره في الماضي

(٥) التلّيل من العدو وإصابته بالضر

أبأس أن ضاع ثأر سدى ومُتّع خصم له بالبقاء<sup>(١)</sup>  
عدوان عاشا على إحنة وباعا السماحة بيع الإباء<sup>(٢)</sup>  
أما الشقاق وكيد اللثام لنيل الخطام وكسب الجباء  
إذا ما دنا الموت من واحد أيسرحت مثل الجسان استراح  
أيطعنه طمن بذل خصيما صريع انتراب مُراق الدماء  
وسرائى الحمام كراى السقام بديل القتل ويحري الجباء<sup>(٣)</sup>  
هو الموت يشقى قلوب العدى ويحتم بانصالح حرب البقاء  
وقد يطلب الصلح من فرحة تغير الثمالة ثوب السقاء<sup>(٤)</sup>  
وك من عداء غدا ألقه فيا عبث إذ تراق الدماء  
كما احترت أم ثم عادت كأن لم تذق في الحروب الشقاء<sup>(٥)</sup>  
ألم تسمع الأرض نوح الجريح يودّع حتى جنون الرجاء  
ما احتلصت بالصديد الدماء أما أقدم الموت تننّ الهواء<sup>(٦)</sup>  
وك عتق لقتيل ، ه عصاض عند صريع أعداء<sup>(٧)</sup>  
عصاض يحاول خلد الضفائس في جسد حلقه للمساء  
فيا عبثاً للجهد الأنام سيمضى الرخاء ويمضى العناء  
ويُسح من كان خصماً لدوداً عزيزاً ويُبغضُ إلف المساء<sup>(٨)</sup>  
عبد الرحمن شكرى

(١) هذا التأويل معناه هل عايط اغتفاره أسف الخلق لضيق نوره

وفاء حصه وقد قلنا في المقدمة أن الصفات المتضادة قد تختلط في النفس

(٢) الأما : الخواري . الأحة : الحقد

(٣) السقام ينعج البين السقم والتمل العليظ الشديد الحاق

(٤) السقاء الكريم : أى أن انصالح قد يكون من فرحة الشامت بالظفر

بطل العفو كراما

(٥) احترت تخاربت قال البحري ( إذا احترت يوماً ففاضت دماؤها )

(٦) الصديد هو القيح وأصم ملاً وأترع والثني خبث الرائحة

(٧) التفاضل العنق وقد لوحظ بين القتل بعد المارك قتيلاً ألتب أسنانه

في عتق قتيلا آخر قبل المئات واستمر في الموت على هذه الحالة

(٨) أى بين مساء وصباح بصير العدو صديقاً والصديق عدواً وكانما

قد ضاع شقاء القتل سدى



## مقهى صورات

للفيلسوف الروسي تولستوى

كان في بلدة صورات من أعمال الهند مقهى يجتمع فيه المسافرين من جميع أطراف العالم فيتحاورون ويتسامرون وفي يوم من الأيام هبط إلى هذا المقهى عالم روحاني فارسي أفنى حياته في درس اللاهوت وفي التأليف فيه . ومن كثرة ما فكر وقرأ وكتب وناقش اختلط عليه الأمر وأصبح لا يستقد حتى بوجود إله . فلما سمع الشاه بذلك نفاه عن بلاد فارس وكان لهذا الرجل عبد أفرقي لا يفارقه لحظة ، فلما دخل سيده المقهى جلس هو على منخرة بجانب الباب تحت أشعة الشمس يطرد عنه الدباب . فلما استوى الفارسي على أحد القاعد طلب من النادل كوباً من الأفيون . ولم يكده يفرغ من شربه حتى أخذ الأفيون يعمل عمله في رأسه ، فقال يخاطب عبده من الباب وقد كان مفتوحاً :

« قل لي أيها البعد البائس هل تعتقد بوجود إله ؟ »

فأجاب البعد : « طبعاً » . وفي لح البصر أخرج من منطقتة تمثالاً صغيراً من الخشب وقال : ها هو ذا . ذلك هو الإله الذي حماي وحرستني من يوم ولدت . وكل واحد من بلدنا يعبد الشجرة التي منها صنع هذا الإله .

دمش كل من كان في المقهى لهذه المحادثة الشاذة بين الفارسي وعبده . وما أتم البعد كلامه حتى انبرى له واحد وكان من أتباع برهمة إله الهنود وقال : « أيها النبي الحقير ! أنتقد

— أن في الامكان أن يحمل الله في منطقة رجل ؟ لا يوجد غير إله واحد هو برهمة ، إنه أعظم من جميع العالم ، لأنه خلقه . برهمة هو وحده الإله العظيم ، ولأنه شيدت المابد على ضفاف الكانج وفيها يعبده البراهمة كهنته الحقيقيون الذين هم وحدهم يعرفون الإله الحقيقي دون سواهم . لقد مضى عشرون ألف سنة على ظهوره ، وبالرغم من الفتن والثورات المتوالية ظل هؤلاء الكهنة قابضين على ناصبة الأمور ، وما ذلك إلا لأن برهمة قد حرسهم وحمام طوال هذه السنين »

قال ذلك البرهمي وهو يعتقد أنه أقنعهم جميعاً ، إلا أن صيرفيًا يهوديًا كان حاضراً فأجابه قائلاً : « كلا ، ثم كلا . إن معبد الإله الحقيقي ليس في الهند ، والإله الحقيقي ليس إله البراهمة ، وإنما هو إله إبراهيم واسحق ويعقوب ، ولا يحمي أحداً غير شعبه المختار ... بني إسرائيل . إن شعبنا هو شعبه الذي يحبه ، وما تشردنا في أنحاء العالم إلا لأنه يريد تجربتنا . ولقد وعد بجمع شتات شعبه في أورشليم ، وعندئذ — في معبد أورشليم ، أعجوبة العالم القديم بعد رده إلى سالف عزه ورواقه — سوف يحكم الاسرائيليون جميع الأمم »

وهنا أجهش اليهودي بالبكاء ، وأراد أن يستمر في الكلام

— إلا أن مبشراً إيطالياً قاطمه قائلاً : « إن هذا الذي تقوله ليس حقاً ، لأنك تنسب الظلم إلى الله جل جلاله . وإنه لمن المستحيل أن يحب الله شعبك أكثر من بقية الشعوب . إن كان حقاً ما يقال من أن الله في القديم قد فضل الاسرائيليين واسطفاهم على باقي العالمين ، فإنه قد مضى ألف وتسعمائة سنة على خروجهم عليه وإعصاهم إياه ، مما أدى إلى هلاكهم وتشردهم في بقاع الأرض حتى لا ينتشر مذهبهم . ولقد اضمحل إلا من بعض أنفاس

بكلمة ، ولم يكدر صفوك كل هذا الصخب ، ولكنك إن تكلمت  
ففي وسعك أن تؤيد ما أقول . لقد حكى لي بعض التجار الصينيين  
الذين يطلبون منى للموت ، أنكم معشر الصينيين تعتقدون على  
كثرة ما عندكم من الأديان والمذاهب أن الديانة الإسلامية هي  
أفضل الديانات وأنكم تعتقدونها عن طيبة خاطر . أريد إذن كلاتي  
وأبن لنا رأيك في الله الحقيقي ونيبه »

فوقف القوم صائحين : « حسن ، حسن » ثم التفتوا إلى  
الصيني وقالوا « أسمعنا رأيك في هذا الموضوع »

فأغمض الصيني عينيه وأخذ يفكر ثم فتحهما ثانية وأخرج  
يديه من كمي ردائه المريضين وطواهما على صدره وأخذ يتكلم  
بصوت هادي رزين :

سادق : يظهر لي أن الذي يحول دون اتفاق الناس في  
قضايا الدين يرجع خاصة إلى الزهو الفارغ . فإن تفضلتم  
فأصغيتم إلي فسأقص عليكم قصة توضح لكم ما غمض من هذه  
المشكلة :

تركت الصين قاصداً هذه البلاد على ظهر باخرة إنكليزية  
طافت حول العالم . وقد رست هذه بنا الباخرة على الساحل الشرقي  
من جزيرة سومترا لتفاد الماء . وكنا جماعة من مختلف الأجناس ،  
وكان الوقت ظهراً ، فنزلنا إلى البر وجلسنا تحت شجرة من  
شجر جوز الهند على شاطئ قريب من القرية . ولما جلسنا  
تقدم نحونا رجل أعمى علمنا بعدئذ أنه فقد بصره من  
كثرة ما حدث في الشمس محاولاً سير أسرارها ومعرفة كنهها .  
سعى كثيراً للوصول إلى مبتغاه وأطال التحديق في الشمس  
دون أن يدركه إعياء حتى أحرق وهج الشمس عينيه فأصبح  
أعمى . وبعد ما فقد بصره صار يكلم نفسه قائلاً : « نور الشمس  
ليس سائلاً ، إذ لو كان كذلك لكان في الأماكن صبه من آنية  
في أخرى وتحريكه كما يحرك الهواء الماء ؛ ولا هو نار ، إذ لو كان  
ناراً لأطفأه الماء ؛ ثم هو ليس روحاً لأنه منظور ، ولا هو مادة  
لأن المادة تنقل ؛ وبما أن نور الشمس ليس سائلاً ولا ناراً ولا  
روحاً ولا مادة فهو إذن لا شيء »

على هذه الطريقة كان يحاور . وبنتيجة تحديقهم المستمر في

تصعد هنا وهناك . إن الله سبحانه وتعالى لا يفضل أحداً على  
أحد ، ولكنه يدعو هؤلاء الذين ينفون الخلاص إلى أحضان  
كنيسة روما الكاثوليكية ، ولا خلاص لمن كان خارج حدودها »  
فالتفت قسيس بروماتاني - اتفق أن كان حاضراً - إلى  
لبشر الايطالي بوجه ممتنع وأخذ يقول له :

« كيف جاز لك أن تقول أن لا خلاص إلا لمن كان تابلاً  
لمذهبكم ؟ لا يخلص إلا هؤلاء الذين يخدمون الله من صميم قلوبهم  
كما جاء في الانجيل وكما أشار به المسيح »

عندئذ التفت إلى هذين السيجيين ، تركي من موظفي الكمارك  
في سوربات ، وقد كان جالساً في القهى يدخن في (غليون) ،  
وقال لهما بلهجة السيطر :

« اعتقادكم في الديانة المسيحية باطل . لقد حل محلها قبل  
ألف ومائتي سنة دين صحيح هو دين محمد (ص) . ليس لك إلا  
أن تجيل بصرك في أرجاء العالم لترى انتشار هذا الدين الصحيح  
في أوروبا وآسيا ، حتى في بلاد الصين المستتيرة . لقد قلباً أنها  
إن الله غضب على اليهود وازدراهم ، وذكرنا على سبيل  
المثال حالة اليهود الآن وما يقاسونه من ذلة ومسكنة ، فما  
أحرى بك أن تنعرقا بصحة دين محمد لأنه هو الوحيد الظاهر  
المنشأ طويلاً وعرضاً . لا ينجو سوى تلامي محمد (ص) خاتم  
أنبياء الله »

وهنا أراد الفارسي ، وهو من أتباع الرسول العربي (ص)  
أن يتكلم ؛ إلا أن جدالاً عتيقاً شجر بين جميع الأجناس الموجودين  
المتنمين إلى مذاهب شتى ، فقد كان بينهم مسيحيون من الحبشة ،  
ولاميون من تبت ، واسماعيليون ومجوس ؛ وكان جدالهم في الله  
وكيف يجب أن يعبد ؛ وكل يؤكّد أن الله الحقيقي لم يعرف ولم يعبد  
إلا في بلده

لم يبق واحد في القهى لم يشترك في هذا الجدال والصياح  
إلا صينياً من أتباع كونفوشيوس . كان جالساً يرشف الشاي  
ويستمع إلى المتكلمين دون أن ينبس ببنت شفة . فلما رآه التركي  
جالساً على هذه الحالة تقدم إليه محاولاً اجتذابه إلى رأيه  
بهذه الكلمات : « أنت لم تنطق أيها الصيني العزيز حتى الآن

الشمس وكثرة تفكيره فيها كما أسلفنا فقد بصره وعقله وأصبح لا يعتقد بوجود الشمس

وكان لهذا الأعمى عبد يقوده ، فلما اقتربا منا أجلس العبد صاحبه تحت شجرة وارفة ، ثم التقط جوزة من الأرض وأخذ يصنع منها سراجاً : ابتداءً أولاً بتفشير الجوزة ، ثم أخذ ليفه فبرمها ثم عصر دهناً من الجوزة في القشرة ، ثم تقع الفئيلة فيها فأصبح له من ذلك كله سراج يضيء له الظلام وهنا نهّد الأعمى وقال لعبدّه : « ألم أكن على حق حين قلت لك يا عبد أن لا وجود للشمس ؟ ألا ترى هذا الظلام الدامس ؟ ومع ذلك يقول الناس بوجود شمس ! إذا كان صحيحاً ما يقولون ، فما هي ؟ »

قال العبد : « لا أعرف ما هي الشمس . تلك ليست مصلحتي ، ولكنني أعرف ما هو النور . ها قد صنعت نوراً أستطيع به أن أخدمك وأن أجد كل ما أطلبه في الكوخ »

وهنا التقط العبد قشرة الجوزة قائلاً : « هذه تسمى » وكان رجل أعرج جالساً وإلى جانبه عكازه ينصت إلى هذا الحوار الشائق ، وما كاد يلفظ العبد كلمته الأخيرة حتى أغرق في الضحك وقال يخاطب الأعمى :

يظهر أنك ولست أعمى ، ولما كنت لا تعرف ما هي الشمس فسأقول لك ما هي . الشمس كتلة من نار تخرج من البحر كل صباح ، وترتفع ثم تهبط كل مساء ، وتتوارى بين جبال جزيرتنا . لقد رأى الناس جميعاً هذا ، ولو كنت بصيراً لرأيتها أنت أيضاً

ثم أعقبه سمالك كان يستمع إلى الحديث موجهاً الكلام إلى الأعرج :

« يظهر لي أنك لم تر ما وراء جزيرتك . ولو طفت كما طفت أنا في زورق الصيد لعلت أن الشمس لا تقيم في جبال جزيرتنا ، ولكنها كما تشرق من البحر كل صباح ، تغيب في البحر كل مساء . إن هذا الذي أقوله لك صحيح لا شك فيه لأنني أشاهده بعيني كل يوم »

وهنا قاطعه هندي كان من جماعتنا قائلاً : لشدة ما يدهشني أن أسمع هذا المراء من رجل عاقل مثلك ! كيف يجوز لكثلة نار أن تهبط في الماء ولا تنطفئ ؟ الشمس ليست كتلة نار أبداً بل هي إله يدعى « ديفا » وهو ما يتفكركم عجلة يدور بها حول جبل فيدو الذهبي فتهم عليه في بعض الأحيان الحيتان المشثومتان ( راكو وكيكو ) وتبتلعانه ؛ وعند ذلك تصبح الأرض في ظلام . إلا أن كهنتنا لا ينفكون يصلون ويضربون لذلك الإله حتى يطلق سراحه . لا يظن أن الشمس تضيء بلدته وحدها إلا من كان غيباً مثلك لم يبرح جزيرته قط »

فقاطعه ربان سفينة مصرية وقال له : « أنت أيضاً غلط ، ليست الشمس إلهاً ولا هي تدور حول الهند ولا حول جبلها الذهبي فحسب » لقد طوفت كثيراً في البحر الأسود وعلى طول سواحل جزيره العرب ، ورأيت أيضاً مدغشقر وجزائر القيليين ، وفي كل هذه الأماكن تبزغ فيها الشمس ، مما يدل على أن الشمس لا تضيء الهند وحدها ولكن تضيء الأرض كلها ؛ ولا هي تدور حول جبل واحد وإنما تشرق في الشرق الأقصى وراء جزر اليابان ، ثم تقرب بعيداً ... بعيداً في الغرب وراء الجزر البريطانية . ولهذا السبب يسمى اليابانيون بلدتهم « نيبون » ومعناه « مولد الشمس » . أعرف هذا جيداً لأنني رأيت كثيراً ، وسمعت أكثر من جدي الذي ركب البحار كلها »

وكان يريد المصري أن يستمر في حديثه لو لم يقاطعه بحار انكليزي كان في سفينتنا قائلاً :

« لا يعرف أحد عن حركات الشمس قدر ما يعرفه الناس في انكلترا . ليس للشمس مشرق ولا مغرب ، وإنما هي تدور دائماً حول الأرض . إن هذا الذي أقوله لا شك فيه . ألم تنته الآن من طوافنا حول العالم ومع ذلك لم نصطدم بالشمس ؟ أينما حللنا وجدنا الشمس تطلع صباحاً وتغرب مساء كشأنها هنا . وأخذ الانكليزي عصاً وراح يرسم دوائر على الرمل ليرينا حركات الشمس وكيف تدور حول الأرض ، إلا أنه لم يستطع شرحها بوضوح فقال مشيراً إلى ربان السفينة : أترك شرحها إلى هذا الرجل فهو أعلم بذلك مني »



وهل يوجد وصف في أى سفر من الأسفار عن كمال الله وحسنه أروع أو أبسط من هذه التعميم التي أسبغها الله على عباده لخيرهم وسعادتهم ؟ وهل من تفجيات أسمى وأرفع من هذه التي يقدمها الرجال والنساء على مذبح الحب ؟ ثم ما هذه المذابح النصوبة في الكنائس إذا قيس بقلب رجل كريم يطفح حباً وحناناً وقد رضى الله به مذبحاً لتقديم القرابين له

كلما سما الإنسان في فهم الله ازداد به علماً ، وكلما ازداد به علماً اقترب منه ، وذلك باحتذائه إياه في إحسانه وعطفه وحبه ليكف إذن ذلك الذي يرى نور الشمس يغمر العالم عن احتقار ذلك الرجل الخراف الذي يرى في مبيوده قبساً من هذا النور . ليكف حتى عن ازدراء الكافر ، لأنه أعمى ولا يرى الشمس ألبتة »

هكذا تكلم الصيني تابع كونفوشيوس ، فصمت كل من كان في المقهى ولم يمد أحد يده أن ديارته هي الفضل  
برسيف روتشا

وكان ربان السفينة رجلاً ذكياً يصنى إلى الحديث بسكون دون أن ينس بكلمة ، فلما أُطلب منه الكلام أنجبت الأنظار إليه وبدأ يقول :

« أنتم تحاولون التضليل وما تفلون سوى أنفسكم . إن الشمس لا تدور حول الأرض ، بل الأرض هي التي تدور حول الشمس مرة في كل سنة ، وتدور حول نفسها مرة في كل أربع وعشرين ساعة . فيتضح من هذا أن لا فرق بين اليابان وجزر الفلبين وسومطرا وأفريقيا وأمريكا وأوروبا وغيرها ، فإن نصيب الجميع من أشعة الشمس واحد . فالشمس إذاً لا ترسل نورها على جبل واحد ولا جزيرة واحدة ولا بحر واحد حتى ولا على أرض واحدة ، وإنما تستضيء بنورها جميع الكواكب أيضاً . فلو نظرتم في السموات عوضاً عن نظركم إلى الأرض لأدركتم كل هذا ولما زعمتم بعد ذلك أن الشمس تضيء لكم أولديتكم فقط »

هكذا تكلم الربان الحكيم ، وإذا تكلم فإنما يتكلم عن خبرة واسعة من كثرة ما ساح في البحار ومن طول ما حدث في السموات

\*\*\*

هذا الذي قيل في الشمس يقال أيضاً في الدين . إن السبب الذي يحول دون اتفاق الناس في مسألة الدين إنما هو التفاخر وما يسيبه من شجاعة . كل رجل يريد إلهاً له ، أو على الأقل إلهاً خاصاً لأمته ، وكل أمة تريد أن تحصر في مبدعها الله الذي لا يسمعه العالم

وما هذه المعبود بالنسبة إلى العالم الذي خلقه الله ليكمل فيه الناس أمة واحدة وديانة واحدة ألا وهي الإنسانية ؟

لقد شيدت المعبود الإنسانية على غرار هذا المبدع الذي شيد الله للناس ، كل مبدع له أحواضه وأقبيته وصوره ونحوته وقنوسه وكتبه ومذابحه ومحاريبه وكهنته . ولكن أيوجد مبدع له حوض كحوض الاقيانوس أو قبو كقبو السموات ؟ وأين تلك المصاييح الباهتة التي تضيء المعبود الإنسانية من الشمس والقمر والنجوم ؟ أو تلك الصور الجامدة من رجال أحياء تنمر قلوبهم بالحلب ؟

## في أصول الأدب

لورستاز احمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث تحليلية طريفة في الأدب العربي وتاريخه . منها تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل المؤثرة في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم والعالم . تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ ...

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثنائه ١٢ قرشا



### نومبر برامج التعليم في الشرق

علمنا أن الأستاذ الجليل محمد المشاوي بك وكيل وزارة المعارف يفكر في عقد مؤتمر عربي شرق في القاهرة لدراسة الحالة العلمية والثقافية في البلاد الشرقية لمعالجة مشاكل التعليم معالجة تقوم على أساس صالح ، وتستند إلى هدى القواعد التي تقررت في التربية الحديثة بما يلائم روح الشرق ويتمشى مع شخصيته . ولعل الباعث لهذه الفكرة ما تلقىه المؤتمر الطبي العربي الذي عقد أخيراً في بغداد من النجاح وما ترتب عليه من التأجج الطيبة التي قوت الروابط وأحكمت الأواصر .

وتنبه الفكرة لعقد هذا المؤتمر على أن تقوم هيئات المعلمين في مصر بتوجيه الدعوة إلى مثيلاتها في أنحاء الأقطار الشرقية ، على أن تقوم الحكومة المصرية برعاية المؤتمر من الناحية المادية ، وبكل ما يتصل بتكاليف المؤتمر . وقد علمنا كذلك أن بعض الهيئات المشتغلة بشئون التعليم مهتمة جد الاهتمام بإخراج هذه الفكرة إلى حيز الوجود في وقت قريب ، ولا شك أن انعقاد هذا المؤتمر سيكون له شأن كبير في التقريب بين الأمم الشرقية ، وأن اتحاد برامج التعليم فيها سيكون أكبر عامل في إيجاد الوحدة العربية التي تلهف عليها النفوس منذ أزمان

### المؤتمر الدولي للجذام

انعقد في يوم ٢١ مارس في مدينة القاهرة المؤتمر الدولي للجذام ، وهو المؤتمر الذي نظمته الحكومة المصرية بالاشتراك مع الجمعية الدولية للجذام ، فكان أول مؤتمر من نوعه وفي أهميته وخصرماً أن مرض الجذام مرض خبيث لم يكتشف للآن المصل الواق من شره ، وكل وسائل العلاج المعمول بها الآن إنما هي عزل المرض وهي في الواقع طريقة للوقاية لا للعلاج ،

فن صالح الانسانية ومن البر بها أن يجتمع أعلام الطب من كل دولة للبحث في شأن هذا المرض المعضل

ولقد تفضل جلالة الملك فافتتح الجلسة الأولى للمؤتمر ، وقد رفعت بهذه المناسبة أعلام الدول التي اشتركت فيه على دار الأوبرا الملكية ، وبلغ عدد تلك الدول ٥٥ دولة وبلغ عدد الأعضاء الذين اشتركوا فيه حوالي ثلثمائة . وقد أقام معالي وزير المعارف حفلة تمارف بين الأعضاء بفندق الكونتنتال ، ثم أقام الوفد الفرنسي حفلة أخرى ألقى فيها « عمدة باريس » خطبة نوه فيها بأهمية عقد الاجتماعات العلمية الدولية لخير الانسانية عامة وخصوصاً لبحث الأمراض المستعصية مثل الجذام ، وأشاد بفضل مصر فيكرمها ودعوتها ، ثم وجه الدعوة للمؤتمرين بالنيابة عن الحكومة الفرنسية وعن بلدية باريس أن يكون الاجتماع الثاني للمؤتمر في مدينة باريس آملاً أن تجاب الدعوة .

وقد شكر له الدكتور محمد خليل عبدالحالتي بك سكرتير عام المؤتمر تلك الدعوة ووعد بمرضاها على لجنة تنظيم المؤتمر المصرية

### القرآن في نظر الغربيين

ألقي الدكتور خالد شلديريك محاضراته الثالثة بقاعة المحاضرات بدار المركز العام لجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة في موضوع « القرآن الكريم في نظر الغربيين » ، وقد بدأ محاضراته بالكلام عن الأنجيل والكتب السماوية المنزلة ، ثم تكلم عن الحروب الصليبية وتأثيرها في نهضة الغرب وإيقاظ الشعوب الأوروبية ، فان الصليبيين قتلوا من فلسطين المدنية والثقافة وكثيراً من المعارف والمظاهر التي لم تكن تعرفها أوروبا في ذلك العهد ، حتى لقد كانت تخط في نوم عميق من الجهل ، وترسفت في قيود التمسب المعقوت والتدهور الأخلاقي . ثم انتقل الأستاذ المحاضر إلى الكلام عن ضعف العناية الإسلامية في أوروبا ، وعدم وجود

لاتينية من قبل الحرب العالمية ، وليست مسألة ترجمة القرآن إلا مظهراً من مظاهر نهضة شاملة في النواحي الإسلامية تقوم بها الحكومة في تلك البلاد

### الكشف عن مسجرات الحجاج

كانت دار الآثار في بغداد قد قررت في السنة الماضية أن تأخذ على عاتقها القيام بأعمال التنقيب في أطلال « واسط » وقد جاء في البريد الأخير من بغداد أن التنقيبات التي أجريت كشفت عن مسجد صغير ومسجد كبير ومقبرة وضريح وحصن وسوق ، وقد عرضت الآثار التي استخرجت من الآثار المذكورة في غرفتين من غرف دار الآثار المرمية

ولم تترك هذه التنقيبات مجالاً للشك في أن المسجد الذي كان قد اكتشف في السنة الماضية هو المسجد الذي شيده الحجاج بن يوسف الثقفي عند تأسيس المدينة ، وقد أسفرت أعمال الحفر عن وجود ثمانية صفوف من الأعمدة الحجرية الضخمة ، ويبلغ قطر كل منها تسعين سنتيمتراً ، والقسم الأعظم منها منحوت ومزخرف بأشكال بديعة . وقد أدى اكتشاف مسجد الحجاج بهذه الصورة إلى تعيين موقع قصر الإمارة ، وتتوقع دار الآثار أن التنقيبات التي ستجرى خلال هذا الموسم وفي المواسم القادمة ستسفر عن نتائج علمية مهمة تتصل بتاريخ القرن الأول للهجرة

### نزول مرام كوري

أذاعت الآنسة إيف كوري من لندن عن والدتها مدام كوري مكتشفة الراديو ، فذكرت كيف كان والدها يدين بالعلم ويخلصان له ، ويعرضان حياتهما للخطر الشديد في سبيل استكناه أسرارهم ؛ فلما اكتشف اثنان من العلماء الألمان عنصر الراديو سنة ١٩٠٠ ظل اكتشافهما بدون قيمة حتى أجرى آل كوري تجاربهما في جسميهما فوجداهما يحترق ويحترق . ولم يقف فقر آل كوري في سبيل النجاح المنشود ، بل كانا يجريان تجاربهما في بيت خرب (غير مبطل) ذي شبابيك مهشمة (بدون زجاج) وكانت لها طفلة غير إيف ، كانت صرخاتها تشجدهما همة العلماء الراسخين في العلم ، وقد حدث أن منحت إحدى الجمعيات

تراجم صحيحة للقرآن غير ترجمة « بكتول » احدى اعتنق الديانة الإسلامية عام ١٩٠٩ ، وقد أطلق على كتابه اسم « ترجمة معاني القرآن » ، ولكن من التمدد على كل أوربي اقتناء نسخة من هذه الترجمة لفداحة قيمتها ، ثم ألمح إلى استعداد الأوربيين والأمريكيين لدرس تعاليم الدين الحنيف إذا ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ثم ختم محاضراته بالإشارة إلى إيجاد جبهة دينية منيعة لصد التيارات الشيوعية والاشتراكية وغيرها من المذاهب الاجتماعية الجديدة التي تخالف الأديان السائدة ، وتهتم بالمبادئ الصالحة ، والأخلاق والمقائد . وبهذه المناسبة تقول : إن الفاعلين بالأمس في مصر قد عادوا يهتمون بمسألة ترجمة معاني القرآن ، وهم يرون إدخال عناصر جديدة مهمة في اللجنة التي كانت قد تألفت لذلك من قبل

### اللغة الإيرانية والحروف اللاتينية

تريد الدولة الإيرانية أن تصنع بلفتها صنيع تركيا الجديدة ، فهي تعمل على أن تخلص مجملها من الألفاظ المستعارة والداخلية وأن تكتبها بحروف لاتينية كما فعلت الحكومة التركية منذ سنوات . وقد عقد في ١٨ الجاري مؤتمر لقوى رئاسة جلالة الشاه ، وجرى البحث حول تنقية اللغة الإيرانية من الألفاظ الأجنبية ، وقد استعان المؤتمر ببعض المعمرين على انتقاء ألفاظ إيرانية قديمة لتستعمل مكان الكلمات الأجنبية ؛ ولكن لما طرحت على بساط البحث قضية استبدال الحروف اللاتينية بالحروف الإيرانية الفارسية ، لانت معارضة قوية بحجة أن هذا التغيير يقصد اللغة الإيرانية قيمة مؤلفات أثرية واجتماعية لا يمكن نقلها إلى الإيرانية بحروف لاتينية ؛ ولذلك تأجل البحث في هذه المسألة إلى وقت آخر حتى يتم النظر في هذا الاعتراض القائم

### ترجمة القرآن في ألبانيا

اتجهت الأفكار في بولونيا إلى تعريب القرآن ونقله إلى لغة ألبان وهي اللغة الأرناؤوطية ، وقد جاء في البريد الأخير أن الحكومة هناك دعت رؤساء الدين إلى اجتماع عام في دار الحكومة حضره جلالة الملك احمد زوجو ، وقد تناول البحث ترجمة القرآن ، ولعل من المعلوم أن اللغة الأرناؤوطية تكتب بحروف

آل كورى مدالية علمية ذهبية ، فسخر بها الوالد العالم ، ودفع بها إلى الطفلة تلمب بها ، وهو ينظر إلى جدران غرفته وشبابيكها ويتهد من أعماقه ، ولولا أن أسعفه الحط فتال جائزة نوبل للعلوم مرة ومانها زوجته مرة أخرى ، لما عرف العالم قيمة الراديوهم إلى اليوم

#### الإذاعة المصرية

أخذت محطة الإذاعة المصرية تنشط من سبائها قليلاً ، وأخذت تعنى بنواحي الجدل من الحياة ، لكنها لم تنبته بعد إلى أنها أداة هامة من أدوات تربية الذوق المصرى من جهة وأداة هامة من أدوات الإعلان عن مصر من جهة أخرى — فعلى ما ترال تذيع الاسطوانات الرقيقة وما ترال تحجهم عن معاملة الفنانين الذين هم من الطبقة الأولى كما يقولون

والمزعج أنه قد تقرر أن يكون لمصر موجة خاصة قوية (١٠٠ كيلو) يمكن بها أن تسمع مصر في اليابان وأمريكا ، فإذا تذيع مصر على هذه الموجة وزعماء الأدب والفكر لا يرأون بعبدين عن هذه المحطة ؟ ويجعل أن ننبه محطتنا إلى إذاعتها من قاعة يورت ، وما تبحره هذه الإذاعات من أوخم العواقب على سمة الأخلاق في مصر ، فإنه يقصد إلى هذه القاعة أناس من المخرجين الصاخبين ، وهم يذهبون إليها تملين عادة ، فإذا أخذتهم النشوة خرجت من أفواههم عبارات وأصوات نحسبها لا تشرف مصر في آفاق العالم ... فلتفهم محطة الإذاعة هذا ولقد نشرت الإذاعة البريطانية تقريرها عن سنة ١٩٣٧ ، فإذا دخلها ٣٣٥٦٠٧٤ جنيهًا ، أفيدرى القارىء كم من هذه الملايين خصص (للبروجرام فقط) إنه ٥١ ٪ من مجموع الدخل أى ١٦٥٠٦٢٩٠١٠٠ جنيهًا ، والجمهور مع ذلك يطلب المزيد :

#### هل قتل موركى ؟

حوكم في روسيا في الأيام الأخيرة طائفة من كبار الأطباء الذين كانت تستعملهم الحكومة في طبها القضاى . وقد صدر الحكم بأعدامهم رمياً بالرصاص . والتهمة التى وجهت إليهم هي أنهم قتلوا أو تسيبوا في قتل جوركي العظيم (أدب الصماليك) الذى توفى منذ عامين والذى كان أعظم رجل يعيش في روسيا إن لم يكن في العالم أجمع ، كما تسيبوا في قتل ولده وقتل كثيرين من

عطاء روسيا . وقد ذكرنا في هذا الباب كيف استبعدت الحكومة المخرج الكبير ماير هولده حين أحست أن هواه ليس في صفها فيما ينتجه المسرح السوفيتى — وهذا دليل على أن التهم الأصلية في هذه المحاكمات الأخيرة لم يؤخذ بحزمه ، لأنه الحكومة نفسها . وفي الحق لقد كنا دائماً ندهش لموقف جوركي من الطاغية ستالين ومن الثورة البلشفية نفسها ، وكنا نجزم أنه موقف متناقض لا ينطوى إلا على التسليم الذى يشبه تسليم المجائر ، ولا يبعد أن يكون ستالين قد عرف ذلك من سيد أدباء الروس فدبر له هذه القتل الشنيعة بأيدى أولئك الأطباء المساكين

#### مصر والثقافة العربية في اليمن

أوفدت الجامعة المصرية منذ عامين بعثة من أعضاء هيئة التدريس بكلية العلوم والآداب إلى اليمن ، وقد انتهت من دراسة طائفة كبيرة من المسائل التى وقفت عليها في بلاد اليمن دراسة علمية بحثية ، ولا ترال بعض تلك المسائل قيد البحث والدراسة وقد أعدت البعثة تقريراً أولياً عن الأعمال التى قامت بها في بلاد اليمن ، والابحاث التى وقفت عليها وقامت بها على الحساب المرتفعة ودخل وديان حضرموت

أما فيما يتصل بالثقافة العربية في تلك البلاد ، فإن عضو كلية الآداب يضع تقريراً في هذا الشأن ، وما قال فيه : إن المراق أكثر عناية بإذاعة الثقافة العربية في تلك البلاد ، وإن المستقبل لها في اليمن ، على أن في إمكان مصر أن تنشئ العلاقات بينها وبين اليمن بتقوية محطة الإذاعة اللاسلكية المصرية ، ووضع برنامج تعنى فيه الحكومة بأمر الثقافة التى تلاثم اليمنيين ؛ وفي إمكان مصر كذلك أن توفد البعثات العلمية إلى تلك البلاد ، وأن تعد برنامجاً لمحاضرات تلقى في مصر عن اليمن يتناول فيها المحاضرون حال تلك البلاد من مختلف الوجوه

وما يجعل ذكره أن بعثة من مختلف المعاهد الانجليزية قد زارت اليمن ، وقامت بعدة أبحاث ودراسات وأن النتائج التى انتهت إليها هذه البعثة تتفق تماماً والنتائج التى انتهت إليها بعثة الجامعة المصرية التى أذبت منذ حين في الأوساط العلمية والأدبية

## محاضرات في النبات المصري القديم

تقيم في مصر الآن السيدة فيفي لورنت تكهولم ، إحدى الأجنيات المشتغلات بالنباتات المصرية القديمة والحديثة . وهي زوج المرحوم العلامة جتار تكهولم أستاذ علم النبات بكلية العلوم الأسبق بالجامعة المصرية ، ومؤسس هذا العلم فيها سنة ١٩٢٥

وقد دعت الجامعة هذه السيدة لإلقاء محاضرات في هذا العلم على طلاب السنتين الثالثة والرابعة بكلية العلوم

وكان زوجها قد حضر إلى مصر بعد أن رشحته جامعة سويدية لكرسي النبات في الجامعة المصرية ، وبعد وفاته ظلت زوجه تقوم بأبحاثها في هذا الموضوع ، وقد زارت مختلف الممالك الأوربية استزادة في هذا الباب ، ووفقت لطائفة من المجموعات النباتية النادرة التي تسد ذات قيمة فنية كبيرة في الأوساط العلمية .

وقد أعدت طائفة من البحوث في هذا الموضوع واعترمت تضمينها عدة مؤلفات ، فرأت الجامعة إزاء القيمة العلمية التي تعود على مصر سواء في الدراسات الجامعية أم في العناية في الخارج ، أن تطبع هذه الكتب على نفقتها وقد هيأت المؤلفات ، مجلدها الأول ، ويقع في حوالي ٦٠٠ صفحة ، على أن توالى هذا العمل العظيم

## موسوعة ثقافية عن الهند

صدرت بالإنجليزية موسوعة ثقافية عن الهند اشترك في تأليفها كبار الأدباء الهنود وفلاسفتهم وعلمائهم وكهنتهم وموسيقيهم ، وساعدتهم على ذلك أدباء وعلماء عالميون . فمن الهنود الشاعر الكبير رابندرانات طاغور ، والفيلسوف راجا كرشنا ، والموسيقى ديليب روى . ومن الأجانب رومان رولان ، والسيرجون مارشال ... الخ . وقد تناولت الموسوعة ديانات الهند وكتبها المقدسة وتاريخها القديم والحديث وعلومها وآدابها وفنونها ، وقد خصت كاهنيل الأكبر ( راما كرشنا ) بجزء عظيم من مجلداتها الثلاثة . وقد أثار صدور هذه الموسوعة الحافلة بالبحث القديم التعلق بمنشأ الحضارة على وجه الأرض ، فهو العراقي كما برهن على ذلك الأستاذ الأثرى ليوناردولى الذى اكتشف آثار أور ،

والذى أيدى في هذا الرأي الدكتور محمد عوض محمد ، أم كان منشأ هذه الحضارة في مصر كما برهن على ذلك أكثر علماء الآثار وفي مقدمتهم المرحوم الدكتور أليوت سميت الأستاذ بمدرسة الطب المصرية ( قبل ثلاثين سنة ) ، أم أن تلك الحضارة قد نشأت في الهند في مقاطعة البنجاب وحوض نهر السند كما يقول بذلك أحد محررى الموسوعة الهندية وهو السير جون مارشال ؟

والمعجب في ذلك الحوار أن كلا من معبذى إحدى هذه النظريات يستند في صحة ماذهب إليه إلى تقدير السنين العمدى لعمر الحضارة التي نشأت في إحدى هذه الجهات ، والجميع لا يرجعون بها إلى أكثر من ستة آلاف سنة . فهل فاتهم أنه قد اكتشف في البدارى ( المدينة المصرية ذات التاريخ المعروف ) مجموعة أثرية من أدوات الإنسان الأول يرجع تاريخها إلى ما قبل ١٢٠٠٠ سنة ؟

## نسبة بيت شعري

فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصميدى :

اطلعت على كلمتك في بريد الرسالة الغراء عدد ( ٢٤٥ ) تسائل فيها قراء الرسالة عن نسبة البيت :

له حاجب عن كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب  
فأعجبني منك تلك الدقة الأدبية . والبيت كما يقوله أبو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني ( ج ١ ص ٢٣ ) لأبي الطمجان مولى ابن أبي السمط . قال أبو هلال : وقول أبي الطمجان مولى ابن أبي السمط :

فتى لا يزال الدلجون ينوره إلى ما به ألا تضى الكواكب  
له حاجب عن كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب  
والحق ما يقوله أبو هلال فقد عرف مروان بن أبي حفصة وروى له في ديوانه ولقبه بأبي السمط ( ج ١ ص ٦٥ ) فلو كانت الأبيات له لما خفى عليه ، وقد اتفق مع الرواة في رواية البيتين معاً ، وأبو هلال أحق بالقبول من كتاب البلاغة في هذا المقام . أما أبو الطمجان فهو حنظلة بن الشرقى القينى أدرك الإسلام ومات قبل الهجرة : ذكره أبو تمام في حماسه وابن حجر في الأصابة وضبطه القاموس

عبد الحبيب طه

## نطور بتطور نطوراً

الألفاظ العربية قسماً : قسم نبت في ( الجزيرة ) في الجاهلية وقسم نشأ فيها وفي غيرها من البلاد الإسلامية في وقت ( الحضارة العربية ) . وكتب اللغة المعروفة بالمعجمات حرصت على تقييد القسم الأول . والقسم الثاني ( أى جبل الكلمات العربية ) إنما هو في مؤلفات العلم والأدب والمصنفات الخاصة ، وهو ينتظر معجماً عاماً شاملاً ينظمه — وهمة العرب تلك المهمة — يوم القيامة إن شاء الله تعالى ...

ومن هذا القسم لفظة ( التطور ) وقد حسب الأستاذ أسعد خليل داغر صاحب ( تذكرة الكاتب ) وقاض معروف من مراسلي ( الرسالة ) في ( دار السلام ) في هذه الأيام — أنها عصرية جردية ، فنلطاها

قال الأول : « ويتنون فعلاً من الطور بمعنى الحال على تفعل فيقولون تطورت الأمور وهم في غنى عن مخالفة النقول والسموع بما في اللغة من الأفعال التي تفيد هذا المعنى »

وقال الثاني : « ورأيت يجر على كلمة تطور في دقار التلاميذ فلا يصححها ، فحاسبته أشد الحساب ، فقال : إن الله يقول في كتابه العزيز : ( وخلقناكم أطواراً ) فقلت : نعم إن الله خلقنا أطواراً ومن أجل ذلك لا يصح أن تتطور يا أستاذ »

وهذه اللفظة — التي غلط هذان الفاضلان في تفلطها — عربية كريمة حضرية من ( بنات الحضارة ) وشيخة مسنة عمرها ألف سنة

قال السبكي في ( طبقاته الكبرى ) : « من كرامات هذه الأمة التطور بأطوار مختلفة وهذا الذي تسميه الصوفية بعالم المثال » وقال ابن خلدون في ( كتاب العبروديان المبتدأ والخبر ) : « وتطوروا — بمعنى العرب — بطور الحضارة والترق في الأحوال » وقال أبو البقاء في ( كليته ) : « وإيجاد شيء لا عن شيء محال بل لا بد من نسخ المعمول قايلاً لأن يتطور بأطوار مختلفة » وقال الشوكاني في ( البدر الطالع ) في سيرة أبي الفضل المجدالي : « ثم رحل نحو المملكة المصرية وتطور على أنحاء مختلفة »

فوجب — وهذه أقوال القوم — أن يقبل الأديب العربي ( التطور ) غير متوقف ولا متلوم ( \*\*\*)

## الوصل والفصل

قال أحد الفضلاء في الجزء ( ٢٤٥ ) من ( الرسالة الفراء ) : « طابت السهرة وطابت ثم طابت » والقائل من الأساتذة الأدياء فكيف عطف ( طابت ) لثانية على ( طابت ) الأولى وبين الجنتين كمال الاتصال وهو ظاهر مثل الشمس في اليوم غير المنيم فكيف هذا العطف والاتصال كامل ؟

ومن أمثلة الفصل عند كمال الاتصال في كلام الله : « أمدكم بما تملون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون » « فتهل الساكفون أمهلهم رويدا »

وقد قالوا فيما نحن فيه لخطر شأنه ، وعظم قدره : « قيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : « معرفة الوصل من الفصل » وهذا القول في ( العقد ) . وفي ( دلائل الإعجاز ) : « العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها قد بلغ من قوة الأمر أن جعلوه حداً للبلاغة ؛ ذلك لنموضه ودقة مسلكه ، وإنه لا يكفل لإحراز القضية فيه أحد إلا كل لسان معنى البلاغة . واعلم أنه إنما يعرض الإشكال في ( الواو ) دون غيرها من حروف العطف »

وعبد القاهر في طب الكلام حذام  
فالأديب الأريب لا يصل ما يجب فصله ، ولا يقطع ( من ) يجب وصلها أو وصله ...  
« الاسكندرية » ( \*\*\*)

## نصيح

في النقلة ( ٣٥٦ ) : « كأن دينته عليه » وهي : كأن دينته عليه . وفي النقلة ( ٣٥٨ ) : « حرمة مأواة ومرعاه » وهي : حرمة ماءه ومرعاه

## العدد الممتاز

نفذ العدد الممتاز كله يوم صدوره فترجو ألا يطلبه أحد من الإدارة إلا يوم تعان أنها أعادت طبعه .



## نوايغ الشباب

للمؤستاذ فاسم جودة

ولقد نهض المؤلف بموضوع كتابه خير نهوض وأكمله ، فإنه شاب يتوئب للمستقبل ، ويتحفر للتشد ، ولا شك أن للشباب خير من يفهم الشباب ويقدره حق قدره ، ثم هو أديب واسع الثقافة ، شامل المعرفة ، تتصل دراسته واطلاعه بكثير من الثقافات الأوروبية الحية ، ومن ثم أمكنه أن يوفى القول عن شخصيات كتابه وهم — كما قال — من آفاق متباعدة ، وأجناس مختلفة ، وأزمان متباينة ؛ وإذا كانت التراجم بطبيعتها — كما قال كارليل — أكمل الموضوعات نفعاً ، وأعمها لذة ومتمعة للنفوس ، فإن لهذا الكتاب ميزة ظاهرة يتميز بها في نهجه وأسلوبه وتراجعه ، إذ جمع مؤلفه الفاضل « بين البحث التحليلي العميق ، وبين الجانب القصصي الطريف ، فليست فصول الكتاب بالتحليل العلمي الجاف ، ولا بالقصص التاريخي البحت ، ولكنها تجمع بين الفضيلتين ، ففيها نصيب للباحث الدقيق الذي يطلب الحقيقة التاريخية في مصادرها الثابتة ، وفيها حظ آخر للقارئ السطحي الذي ينشد النعمة الحقيقية وترجبة الفراغ » ومن هذه الناحية كان الكتاب رغبة كل قارئ ، وقد أحسنت دار الهلال في اختياره هدية لقراءها الكرام

## السير

للمؤستاذ محمد سمير لطفي

تقرأ في هذا الكتاب نجمة طيبة من المحاضرات التي أذاعها الأستاذ الفاضل محمد سمير لطفي من دار الأذاعة المصرية على جمهور المستمعين ، وهي محاضرات تدور على سيرة الرسول

يشتمل هذا الكتاب على عشرة تراجم من سير الأبطال والمبارزة « الذين كان الشباب صفة بارزة تقترب بما قدموا من خير ، أو بذلوا من جهد ، أو بلغوا من نجاح ، أو أبدوا من وطنية وشجاعة ، أو كسبوا لأنفسهم من نغمة التضحية ، وشرف الجهاد » وقد أحسن المؤلف الفاضل إذ حرص على أن يكون هؤلاء النوايغ « من آفاق متباعدة ، وأجناس مختلفة ، وأزمان متباينة ، ففيهم رجل السياسة ، ورجل الحرب ، ورجل الموسيقى ورجل الشعر ، وفيهم العربي والمصري والانجليزي والفرنسي واليوناني ، وقد تفاوت بينهم الزمن من عهد الحضارة الإغريقية القديمة ، إلى عهد الحضارة الآلية في القرن العشرين »

فأنت في استجلاء هذا الكتاب تستجلي ألواناً من الرغبات والأهواء في نفس الشباب المبكر ، وتبين وجوهاً واتجاهات تتباعد في أشكالها بمراحل الزمان والمكان ، وتقف على عبقريات فنية تتوزع في نواحي مختلفة من تواحي الحياة ، ثم أنت بعد هذا كله إزاء صور دقيقة رائعة كلها الفن والالتقان . وناهيك بصور تتجلى فيها شخصيات الاسكندر المقدوني الفاتح العظيم ، وطرفة بن العبد الشاعر الفتي ، وموتسارت طفل المعجزات ، وتوماس تشارتون شهيد الأنفة ومريع الفاقة ، ووليم بت السيامي المتيف ، ومصطفى كامل نغمة الشباب المصري في الوطنية وكيثس شاعر الحق والجمال ، وجان دارك رمز الايمان والتضحية وأندريه شنييه نصير الحرية والدستور ، وجينر فارس الهواء الأعظم

صلى الله عليه وسلم وسير بعض أصحابه وقربائه ، ومن جاء بعده من الخلفاء الراشدين ورجال بني أمية وبني العباس حتى نهاية الخليفة الأمين ، وما كان بينه وبين أخيه المأمون من حروب على الملك ، وتطاحن على السلطان

ولقد عني الأستاذ الفاضل وهو يتحدث عن سير هؤلاء الأشخاص بالكشف عن مواهبهم الشخصية ، وزعامتهم الذاتية ، وخصائصهم التي تميزوا بها في حكمهم وسياساتهم ، وما قاموا به من الأعمال الجليلة ، والأحداث الحافلة ، فجاء كتابه من وراء هذا صفحة مشرقة رائعة من التاريخ العربي ، تكشف عن كثير من النواحي القوية فيه ، وتمطى القارئ فكرة شاملة عن هذا التاريخ الحافل بالجلال والاعزاز

أما أسلوب الكتاب فأسلوب عربي سليم ، جزل متدفق ، نطل منه شخصية الأستاذ سعيد لطي ، وتظهر فيه روحه ومشربه ، وهي روح تفيض بالدين واليقين ، وتعجد القومية

العربية . ولقد أعجبنى الأستاذ إذ راعى في مسلكه أقدار الخطابين ؛ فتكسب التمسك والاتقال ، وابتمد عن الحشو في الرواية التاريخية على نحو ما هو شائع في المصادر القديمة ، بل نهج نهجاً قصصياً سائماً يصفه هو لك إذ يقول : « رويت التاريخ كما تحدث ساعات التسلية ، فلم أرهن المستمعين ، ولم أذكر اسماً إلا لضرورة ، ولا بلداً إلا لحادث جليل ، وترهت من تناولت سيرهم جيباً عما ليج به الحاسدون ، وأدخله عليهم الأعداء والموتورون »

وقد أحسن المؤلف الفاضل إذ عني بإيراد كثير من الخطب والأشعار والرسائل والوصايا التي تعتبر من وثائق التاريخ العربي ، ثم في الوقت نفسه تعتبر من النصوص الأدبية الرائعة ، ومن ثم لم يكن الكتاب كتاب تاريخ وسير فحسب بل كتاب أدب وتاريخ ، ينفع الأدب كما يفيد المؤرخ ، ولا شك أن في الكتاب هفوات ولكنها طفيفة ، ولعل الوقت يتفصح لنا فيما بعد فتناول الكتاب بفصل شامل على صفحات الرسالة

محمد فخرى عبد الطيف

## إعلان مناقصة

مصلحة الأملاك الأميرية بشارع منصور رقم ١٥ بالقاهرة تطرح في المناقصة العامة الأعمال الترابية والصناعية اللازمة لبرنامج إصلاح سنة ١٩٣٩/٣٨ بمناطق السرو وكفر سعد وبرارى المندورة ومزرعة القلعة والصبحية

وتقدم العطاءات داخل مظاريف محتومة بالشع الأحمر ومصحوبة بتأمين ابتدائي قدره ٢٪ ( اثنين في المائة )

من قيمتها . وستفتح المظاريف بديوان

عموم المصلحة ظهر يوم ٢ مايو سنة ١٩٣٨

والمصلحة الحق في إلغاء المناقصة وفي تجزئة العطاءات وفي قبول أو رفض أى عطاء بدون إيذاء الأسباب

ويمكن الاطلاع على المواصفات والرسومات وجميع ما يلزم من البيانات بديوان عموم المصلحة كما يمكن الحصول على قوائم وشروط المناقصة عن كل

منطقة نظير مبلغ ٢٠٠ مليم للقائمة الواحدة

اعتباراً من ١٦ إبريل سنة ١٩٣٨ م

٢ - ٢ ٣٦٦٩

تفتيش مباني قبلى القاهرة

## إعلان مناقصة

تقيل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة مفتش مباني قبلى القاهرة فوق المدخل البحرى لحديقة وزارة الأشغال لغاية ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٩٣٨/٤/٢٦ عن توريد وتركيب مصعدين كهربائيين بمبنى الإدارة بمشتقى فؤاد الأول بمبنى الروضة

ويمكن الحصول على المستندات من التفتيش المذكور نظير دفع ٢٧٠ مليا وثلاثين مليا للبريد ٣٧١٩